مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م١٨ ع٢، ص ص: ٣-٥٠ (١٠ ٢٠م/١٤٣١هـ)
DOI: 10.4197 / Art. 18-2.1

مواقف الوالي محمود نديم بك السياسية باليمن خلال الفترة ١٣٢٩-١٣٤٩هـ/١٩١١-١٩٣٠م

هاني زامل مهنا العبدلي

أستاذ مشارك، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبدالعزيز، جدة - المملكة العربية السعودية

المستخلص. يعتبر الوالي العثماني محمود نديم بك من أهم الولاة العثمانيين الذين لعبوا دورا حاسما في تاريخ اليمن الحديث: فهو آخر الولاة العثمانيون في اليمن، وقد شهدت فترته زوال الحكم العثماني عن اليمن، بل زوالها كدولة تشتمل سيطرتها على المنطقة العربية بما فيها اليمن. وتهدف هذه الدراسة إلى تتبع الدور الكبير الذي قام به الوالي العثماني محمود نديم بك، في الحفاظ على ممتلكات العثمانيين في اليمن إبان الحرب العالية الأولى، وتتبع الدور الذي لعبه لتحويل ممتلكات العثمانيين في اليمن للإمام يحيى حميد الدين، ومعرفة السبل والوسائل التي اتبعها هذا الوالي لتحقيق هذا الهدف. كما عني البحث بدراسة أبعاد شخصية محمود نديم بك، وتوضيح ما آلت إليه أوضاع اليمن، وأوضاعه الشخصية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

مقــدمة

السلطان عبدالحميد الثاني ووتوجهاته السياسية

شـهدت الدولـة العثمانيـة قبـل سـقوطها تـدهورا فـي الأوضـاع السياسـية والاقتصـادية والاجتماعيـة لأسباب متعددة، ليست هذه الدراسـة معنيـة بمناقشـتها، وجـاء عهـد السـلطان عبدالحميـد وسياسـاته التـي انتهجهـا (١٢٩٣-١٣٢٧هـ / ١٨٧٦- ١٩٠٩م) كاستجابة منطقية لسير الأحداث في هذه الدولة. فمع اعتلاء السلطان عبدالحميد العرش سنة (١٢٩٣هـ /١٨٧٦م) خلفا للسلطان مراد الخامس، بدأ الدستوريون في المطالبة بإدخال عدد من الإصلاحات الدستورية علّها تساهم في إصلاح وتدارك أمر الدولة، وكان السلطان عبدالحميد قد وعد بتبني مثل هذه الإصلاحات قبل اعتلائـه العرش، علما بأنـه كـان يرى أن الحل الأنجع لسلامة الدولة كامن في إنشاء سلطة قوية تتركز قبضتها في يديه لتتمكن من تحقيق ما يلي:

١- الوقوف بقوة أمام تدخل الدول الأوربية في شؤون الدولة

٢- مواجهة النزعات الاستقلالية

٣- التصدي للنعرات القومية

ومـن أجل ذلـك فقد كـان السـلطان يـرى أن فـي الحيـاة الدسـتورية إضـعاف لسلطته، وأن الركـون إلـى الدسـتور قـد جَرَّ الـبلاد إلـى حافـة الهاويـة، وأن الشـعب العثماني ليس مهيأ بعد للحياة البرلمانية(١).

ولتنفيذ توجهاته تلك، عمد السلطان عبدالحميد إلى تقريب وتعيين من عرفوا بمـواقفهم السـلبية مـن الإصـلاحيين ومـن الدسـتور، ويبـدوا أن السـلطان عبدالحميـد اضطر ليناور ويظهر عطفه المؤقت على الإصلاحيين تحت ضغط تدخل الدول الغربية في شؤون الدولـة(٢)- إثر حرب الدولـة مع الصـرب - عندما أصـدر فرمانـا بتعيين من كان يطلق عليه أبو الأحرار مدحت باشا صدرا أعظما(٣).

وعلى الرغم من نجاح مدحت باشا في إنهاء حالة الحرب، وإعلانه للدستور الذي طالما انتظره الشعب سنة (١٢٩٥هـ /١٨٧٧م)، وإلقاء السلطان عبدالحميد خطبته في مجلس المبعوثين التي أوضح فيها أوجه الخلل والأماني المعقودة لحل إشكالات الدولة. على الرغم من ذلك إلا أنه لم يمض وقت طويل حتى نقض السلطان عبدالحميد كل الأماني التي عقدها الدستوريون عليه، فجمد الحياة البرلمانية في الدولة، لمدة تقارب الثلاثين عاما، وأخذ يحكم البلاد حكما فرديا مطلقا[٤].

ويمكن لدارس عهد السلطان عبدالحميد أن يلحظ مدى الشك والريبة اللتان غلفتا شخصية السلطان، فانعكس ذلك على ما كان يتخذه من سياسات على الصعيدين الداخلي والخارجي. حيث أن شعوره المطلق بالخوف من الدسائس قد جعله حبيس قصر يلدز في السنوات الأخيرة من حكمه، محاطا بسياج من الجاسوسية، خاصة بعد تعرضه للعديد من المحاولات الفاشلة لاغتياله من قبل المعارضين لسياساته من جماعة الأرمن، وجماعة تركيا الفتاة[٥].

وقد تجلت هذه الريبة في تعاقب الصدور العظام للأكثر من سبع عشرة مرة خلال الست سنوات الأولى من حكم السلطان، ناهيك عن كثرة تعاقب الحكومات في عهده، حيث بلغ تعدادها ست وعشرين حكومة خلال فترة حكمه الممتدة لثلاث وثلاثين سنة، وأصبح السلطان عبدالحميد مرتابا بشكل الكبير في كل سياسات التنظيمات الجديدة وارتباطات الإصلاحيين بالدول الغربية، وهذا يفسر لنا يفسر بوضوح أسباب الخلاف وحدته بين الطرفين[٦].

لقد عمد السلطان عبدالحميد إلى مراقبة العاملين في الدولة من موظفين صغارا كانوا أم كبارا عن طريق شبكة تجسس موازية لوزارة الشرطة، التي كان يضع على رأسها أهل ثقته، ليديرها من قصر يلدز، الأمر الذي حول الدولة في عهده إلى دولة بوليسية بما تعنيه الكلمة من معنى، وملأ السجون بمساجين كتبت

فيهم التقارير وشاية كانت أم حقيقة، كذلك تعزز في عهد السلطان عبدالحميد أمر الرقابة على المطبوعات، فأنشأت لجان للرقابة بوزارة التعليم ووزارة الشئون الخارجية لمراقبة المطبوعات، ويرى بعض المؤرخين أن الرقابة كانت صارمة بحيث كان من المحذور استعمال بعض الألفاظ كالدستور ، والحرية، والثورة، والفوضى، والإضراب[٧] وعلى صعيد السياسة الخارجية للدولة، كان السلطان عبدالحميد على يقين بأن هدف الدول الغربية هو السعي لسقوط الدولة العثمانية، وأن مطالبات هذه الدول بتأمين حقوق الرعايا المسيحيين ما هو إلا الذريعة التي تستغل لمنح هؤلاء الرعايا استقلالهم الأمر الذي سيؤدي إلى تقسيم الدولة[٨]. ولا يخفى أن المصادر الغربية التي تناولت عهد عبدالحميد قد ساهمت في إضفاء صورة مبالغ فيها عن استبداد السلطان عبدالحميد باعتباره "قاتل الحريات، وذابح الأرمن" بحسب وصفهم، حتى أنه قد نعت في أدبيات المعارضة السياسية العثمانية ولدى بعض الساسة الغربيين بالسلطان الأحمر. وعمدت هذه المصادر إلى حجب كثير من الإنجازات التي تمت في عهده، ربما لتوجهاته السياسية الإسلامية، وربما لموقفه الحازم الرافض لفكرة استقلال القوميات، والأقليات المسيحية[٩]. وإزاء ذلك، توجه السلطان عبدالحميد نحو دعم فكرة تعزيز لبنات الوحدة الإسلامية وتبني أفكار جمال الدين الأفغاني، الداعية إلى تعزيز فكرة وحدة المسلمين تحت لواء الخلافة الإسلامية باعتبارها خير ضمان لبقاء وحدة الدولة، حيث يمثل الإسلام الدين الغالب لسكان الدولة وهو النظام الذي ترتكز عليه الخلافة الإسلامية، وهذا ما قد يشكل عامل مقاومة فعال لبروز مفهوم الدول القومية المستقلة، التي بدأت تنتشر ملامحها بين السكان المسلمين في الدولة وبخاصة العرب منهم[١٠]. وقد سعى السلطان عبدالحميد ويهدف تضييق الخناق على المد القومي بين العرب إلى منح الولايات العربية بعض المزايا وجعلها تتمتع بالأولوية بين الولايات العثمانية على المستويين الاقتصادي والسياسي: فكانت الولايات العربية هي الولايات التي يرسل إليها الأقدر والأكفأ من الولاة العثمانيين، وتخصص لها الكثير من

الاستثمارات، والأرصدة العامة، ومثال ذلك تجهيز دمشق بالإضاءة والترام الكهربائي سنة (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) قبل استانبول ذاتها، علاوة على تدعيم شبكات الاتصال فيها وربطها بالأستانة عبر سكة الحديد التي تربط بين سوريا والحجاز(١١).

محمود نديم بك قبل توليه ولاة اليمن

ولد محمود نديم بك بدمشق في ١٣مارس عام ١٢٨١(هـ /١٨٦٥م)، وهو ينتمي لعائلة يعود أصلها إلى مدينة كركوك شمال العراق، وقد كان والده السيد خضر أفندي احد مسئولي الإدارة العثمانية بالشام، واختلفت الآراء حول تحديد هويته العرقية فيما إذا كان عربيا أو خلاف ذلك، حيث يذكر المؤرخ التركي علي بيرنسي (Ali Birinci) في سيرته حول محمود نديم أن عائلته تنحدر من أصل تركماني يرجع إلى مدينة كركوك لذا عرف بالكركوكي(١٢)، بينما يرى إريك مانرو (Eric monro) وآخرون إلى أن محمود نديم بك عربي سوري حيث أورد إريك مانرو(في كتابه: اليمن والعرب "أنه سوري أسمر اللون عريض الفك بدينا ينتعل الأحذية العسكرية ذات المهماز، ويختتم بخواتم ذهبية ضخمة... وفي سنواته الأخيرة أخذ يلبس الكوفية أحيانا بدل الطربوش... ليؤكد انتمائه العربي)(١٣).

ومن المعروف أن نشأة محمود نديم كانت بدمشق حيث كان والده يعمل هناك، ثم انتقل إلى طرابلس الغرب حيث تلقى تعليمه الأولي فيها، فتخرج من إحدى المدارس العثمانية في٣٠ يونيو للعام (١٢٩٣هـ/١٨٧٧م)، بعد ذلك عمل كمتدرب في أحد مكاتب التحريرات العثمانية بطرابلس الغرب وهو ابن الثانية عشر(١٤). والسؤال الذي يطرح نفسه حول تولي محمود نديم بك العمل في هذه السن المبكرة، فهل سعى والده لذلك مستغلا مكانته الوظيفية في الإدارة العثمانية، أم أن ذلك يتناسب مع روح العصر الذي كان يعيش فيه محمود نديم بك. وسواء

كان هذا السبب أم ذاك فلا شك أن العمل في هذه السن المبكرة قد أثرت تجاربه الإدارية، وانعكس ذلك على عمله في اليمن لاحقا.

تولى محمود نديم بك أولى مناصبه الرسمية بالجزيرة العربية في مدينة جدة، حيث عمل كاتب أول في محكمتها التجارية في ٣ مارس سنة (١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م)، ثم عين بوظيفة كاتب أول في محكمة تعز المستعجلة باليمن في الفترة ما بين (١٣٠١-١٣٠٤هـ/١٨٨٣-١٨٨٦م)، قبل أن ينتقل للعمل كرئيس للمحكمة التجارية بالحديدة، انتقل بعدها إلى استانبول بهدف الاستشفاء والعلاج لمدة عام كامل، عمل أثناءها كرئيس للمحكمة التجارية بالأستانة. ثم كان انتقاله مرة أخرى إلى ليبيا ليعمل مساعدًا للمدعي العام ببنغازي في ١٤ ديسمبر (١٣٠٥هـ/١٨٨٧م)، وظل بهذه الوظيفة إلى ١٣ ابريل سنة (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م)، حيث عاد إلى وظيفته السابقة بالحديدة، ليستمر في هذه الوظيفة إلى ٢٧ يناير (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م)، لينتقل بعدها للعمل بجدة كرئيس للمحكمة التجارية بالحجاز، واستمر بها قرابة ثلاث سنوات، كما تولى منصب قائم مقام جدة مرتين فيما بين ١٦ يوليو -٢١ اكتوبر (١٣١٠-١٣١١هـ /١٨٩٢-١٨٩٣م)، كما عمل كرئيس لمحكمة التمييز بجدة، ومن ثم رئيسا للهيئة الحميدية اليمنية في فترات متقاربة تاريخيا[١٥].

يرى الباحث أن تنقل محمود نديم بك بين هذه الوظائف المتعددة في سن صغيرة نسبيا يحمل بعض الدلالات التي نرى مناقشتها. فقد تولى محمود نديم بك أولى مناصبه الرسمية في مدينة جدة ككاتب أول في المحكمة التجارية وهو ابن السادسة عشر سنة، وتقلب في مناصب عدة بين جدة وتعز والحديدة حتى وصل إلى منصب رئيسا لمحكمة التمييز، وهو دون الثلاثين من العمر، فهل يمكن أن يعتبر هذا معيارا لعدم وجود من يستطيع أن يتولى هذا المنصب من أبناء هذه المدن، أم أن الشاب محمود نديم بك كان يتمتع بمزايا تؤهله لتولي هذه المناصب

في هذه السن المبكرة، أو أن الأمر موكول برمته لحسن اتصالات والده بالإدارة العثمانية في العاصمة، ومكانته فيها، وقدرته على إيجاد وظائف مرموقة لابنه الشاب حديث التجربة. ويحسب الباحث أن اتصالات والده إضافة إلى أوضاع ولايتي اليمن والحجاز الإدارية كانت تحتم على العثمانيين حصر وظائف المحاكم في الموظفين العثمانيين ممن يتحدثون اللغتين التركية والعربية ولعل تنقل محمود نديم بك بين محاكم جدة، وتعز، والحديدة التجارية يعود إلى تشابه أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية بين المدن الثلاث.

إن تنقل محمود نديم بك بين عدد من الوظائف في فترات زمنية متقاربة وفي مناطق جغرافية متباعدة يدفعنا إلى التساؤل عن مبررات ذلك، فمن العمل بطرابلس الغرب انتقل إلى جدة، ثم الحديدة فتعز عودا إلى جدة ثم إلى سالونيك[١٦] فالحديدة، ويفرض علينا هذا التنقل التمعن في دلالاته الوظيفية لاسيما إذا ما أدركنا بأن معظم المناطق التي تنقل إليها محمود نديم بك هي مناطق عربية، إذا ما استثنينا سالونيك التي مكث فيها فترة وجيزة، والأستانة التي توجه إليها تبعا لحاجته للاستشفاء؟ جدير بالذكر أن أول وظيفة مدنية لمحمود نديم بك خارج السلك القضائي كانت في حكومة مقاطعة Belen-Hatay[١٧] في الفترة ما بين ١٦ سبتمبر ١٨٩٤م حتى ٩ يناير (١٣١٣هـ/١٨٩٥م)، كما تنقل بين عدد من المناصب في عدد من الولايات العثمانية كسالونيك قبل عودته لليمن مرة أخرى للعمل في زبيد في ٢٩ (مايو ١٣١٣هـ/١٨٩٥م). وجاء ذكر محمود نديم بك كأحد نواب الحديدة في مجلس المبعوثين، وبأنه معاون الحاكم السابق للحديدة. وكان أحد أفراد الوفد العثماني في اتفاقية دعان التي أنهت حالة الحرب بين الإمام يحيى والعثمانيين في اليمن سنة (١٣٢٩هـ/١٩١١م). بل لقد " كان يد عزت باشا اليمنى في المفاوضات مع الإمام. وقد تركه عزت باشا خلفا مدنيا له في اليمن عندما عاد إلى استانبول ليعرض الصلح على الباب العالي ويحصل على الموافقة عليه"[١٨]،

وتشير بعض المصادر التي بين أيدينا إلى أن الإمام يحيى قد اشترط تولي محمود نديم بك منصب الولاية في اليمن بعد رحيل عزت باشا)[١٩].

إن أكثر ما يثير التساؤل في تنقلات محمود نديم بك الوظيفية يرجع إلى تكرارها بين عدد من المدن العربية، على أن ذلك يمكن تبريره بإجادته للغتين العربية والتركية تحدثا وكتابة. بيد إننا نميل إلى الاعتقاد بأن هذه التحركات كانت لخدمة أغراض محددة والتساؤل يبقى مطروحا، فالفترة الزمنية التي كان يعيش فيها محمود نديم بك تنتمي لعهد السلطان عبدالحميد الثاني، الذي اعتمد حكمه على الجاسوسية المفرطة سواء أكان ذلك في الأستانة أم في الولايات العثمانية المختلفة. ومن المعروف أن السلطان عبدالحميد الثاني كان قد، أولى الجزيرة العربية وعلى وجه التحديد الحجاز واليمن عناية خاصة بحكم توجهاته الإسلامية، فكان لابد له من معرفة دقائق أمور هاتين الولايتين، مما يرجح لنا أن تنقلات محمود نديم بك بين جدة واليمن كان لخدمة أغراض معلوماتية. ومما يرجح هذا الافتراض لدينا عمله لفترة بسيطة في مقاطعة سالونيك، بمعنى آخر أن تواجده في سالونيك كان بتكليف من السلطان عبدالحميد للاستخبار عن نشاطات جماعة الإتحاد والترقي. ومن المعروف أن سالونيك كانت الموطن الذي تشكلت فيه جمعية الإتحاد والترقي، التي كان أعضاؤها خليطا من الجنسيات العثمانية ومن بينهم العرب[٢٠].

مراحل حياة الوالي العثماني محمود نديم بك في اليمن

عاصر محمود نديم بك ثلاثة من الأئمة اليمنيين الذين خاضوا حربهم الضروس ضد الدولة العثمانية وهم: الإمام الهادي شرف الدين[٢١]، والمنصور محمد بن يحيى[٢٢]، وأخيرا المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين. وعليه فيمكن تقسيم مراحل حياة محمود نديم السياسية في اليمن إلى عدة مراحل وهي:

المرحلة الأولى وهي مرحلة ما قبل توليه الولاية من سنة (١٢٩٩-١٣٢٩هـ/١٨٨٣-١٩١١م)، حيث قدم محمود نديم بك إلى اليمن في عهد الإمام

الهادي شرف الدين المتوفى عام (١٣٠٧هـ /١٨٩٠م)، وتولى وظيفة كاتب أول بالمحكمة التجارية بتعز، كما عايش بعد ذلك مختلف الأوضاع السياسية خلال عهد الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين (١٣٠٧- ١٣٢٢هـ/ ١٨٩٠-١٩٠٤م)، وعهد نجله الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين (١٣٢٢-١٣٦٧هـ/١٩١١-١٩٤٨م)، الذي سار على نهج سابقيه في قتاله للعثمانيين وتدرج محمود نديم بك في الإدارة العثمانية باليمن حتى وصل إلى منصب نائب الوالي في الفترة التي سبقت عقد صلح دعان عام (١٣٢٩-٣٠هـ/ ١٩١١م). والثانية فهي التي تولى فيها محمود نديم بك ولاية اليمن (١٣٢٩-٣٠- ١٣٣٧هـ /١٩١١-١٩١٨م)، والثالثة (١٣٣٣-١٣٤٤هـ/١٩١٨-١٩٢٥م)، وهي الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، وقبل تفصيل الحديث عن هذه المراحل نرى أنه من المستحسن أن نتحدث قليلا عن عهد الإمام المتوكل على الله يحيى ابن محمد نظرا لأهمية الحديث عن عهد المتوكل بالنسبة لموضوع بحثنا هذا.

وفي هذا الإطار يمكن تقسيم فترة حكم الإمام يحيى إلى ثلاث مراحل: الأولى تمتد من سنة (١٣٢٢هـ/١٩٠٤م - ١٣٢٩هـ/١٩١١م). وتعتبر هذه المرحلة امتدادا لحكم والده المنصور الذي تميز بالثورة المتواصلة على العثمانيين. وقد عايش محمود نديم بك الوالي أحمد فيضي باشا في بعض فترات ولاية هذا الوالي لليمن، ويبدو أنه كان على خلاف شديد مع توجهات هذا الوالي السياسية، وأسلوب إدارته للبلاد، حتى أن هذا الوالي اتهمه لدى الحكومة العثمانية بالاتصال بالإمام يحيى حميد الدين إبان تمرد الإمام على العثمانيين ومعاونته ومناصرته، وقد تسبب هذا الاتهام في استدعاء محمود نديم بك للأستانة وحبسه ثلاثة أشهر، ثم أطلق سراحه بعد تولي جماعة الإتحاد والترقي الحكم[٢٣].

وتمتد المرحلة الثانية من (١٣٢٩-٣٠-١٣٣٧هـ ١٩١١-١٩١٨م)، وفيها ساد الصلح بين الإمام يحيى والعثمانيين تبعا لتوقيع اتفاقية دعان. أما المرحلة الثالثة فهي التي تمتد من (١٣٣٦-١٣٦٧هـ /١٩١٨م - ١٩٤٨م)، ولن ندخل في تفاصيل فترات حكم الإمام يحيى إلا بما يتناسب وموضوع بحثنا رغبة في التركيز على دور الوالي محمود نديم بك في اليمن وخشية الإطالة.

مما سبق يتضح لنا أن محمود نديم بك قد عايش أوضاع اليمن إبان فترة الاضطراب، ولم يأتي إلى ولاية اليمن إلا وهو خبير بمشاكلها، بصير بأنجع السبل لحل هذه الإشكالات. ولعل ما ذكره محمود نديم بك عام١٣٢٨هـ/١٩١٠م لأحد وجهاء اليمن في الأستانة، وكان حينها مندوبا عن اليمن في مجلس المبعوثين، من إنه سيبذل كل مجهود يحقق حقن دماء اليمنيين، ويسكن الفتن في بلادهم مما يؤكد خبرته في أمور اليمن(٢٤)، كما يتضح لنا أن محمود نديم بك قد عايش التمرد اليمني الشديد على الحكم العثماني إبان عهد المنصور والمرحلة الأولى من مراحل حكم المتوكل على الله يحيى بن محمد، واتضح أمام عينيه فشل أسلوب العنف والشدة الذي انتهجه الولاة العثمانيون- وخاصة الوالي احمد فيضي باشا لحل مشكلة تمرد اليمنيين، فمن الطبيعي إذا أن ينتهج أسلوبا يختلف عن سابقيه في إدارة ولايته حينما يتولى أمرها ينسجم مع خبراته وتوجهاته السياسية.

لقد جاء تنصيب محمود نديم بك لولاية اليمن عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م) مختلف في شكله ومضمونه عمن سبقه من الولاة العثمانيين فهو أولاً: قد عمل باليمن لفترات طويلة قبل توليه أمر الولاية، مما جعله عالما خبيرا بأحوال اليمن السياسية، يساعده في ذلك تمكنه من اللغة العربية، علاوة على لغته الأم (التركية)، ولاشك فقد كان لذلك أثره على نفوس اليمنيين مما أدى إلى تعميق صلاته بالقيادات اليمنية كما مكنته من التغلغل داخل البنية الاجتماعية اليمنية للتعرف على أدق تفاصيل حياتها. جدير بالذكر أن محمود نديم بك كان مندوبا عن

الحديدة في مجلس المبعوثان، ومما عرف عنه أنه كان قد قدم مذكرة في مجلس المبعوثان في ٢٠ جمادي الثانية سنة (١٣٢٨هـ /١٩١٠م) طالبا فيها إلغاء ضريبة الاحتساب، لوقاية أهل اليمن من الظلم الحاصل من وجود هذه الضريبة، وكانت الموافقة على ذلك، مما زاد من شعبيته لدى النخب السياسية باليمن بعد ذلك [٢٥].

وثانيا: إذا أخذنا عامل النسب في الاعتبار بافتراض أنه عربي الأصل (عاشت أسرته بمدينة كركوك)، فإن ذلك سيجعله أكثر قبولا عند القبائل العربية من غيره من الولاة العثمانيين، وبفرض أنه تركمانيا فإن مذهبه الشيعي (غالبية التركمان يتمذهبون بالمذهب الشيعي الإثنا عشري) سيجعله أكثر قبولا عند الأئمة الزيديين.

وثالثا: إن محمود نديم بك تدرج في الأعمال الإدارية قبل توليه منصب الوالي وكانت هذه الوظائف في معظمها من وظائف السلك الإداري المدني، بمعنى آخر، أنه لم يكن عسكريا كما كان الحال في عهد احمد فيضي باشا وعبدالله باشا وغيرهما من ولاة العثمانيين باليمن، ولابد لهذه الخبرات الإدارية المدنية أن تقوده إلى العمل لحل الإشكالات اليمنية بالطرق السلمية، وهذا ما انتهجه في اليمن في الفترة الأولى من مراحل ولايته كما سنرى لاحقا.

ورابعا: أنه جاء إلى الولاية في أعقاب صلح دعان[٢٦] الذي أنهى حالة الحرب بين العثمانيين ودولة الأئمة الزيدية في عهد الإمام يحيى، وأن هذه المرحلة تتطلب واليا يميل إلى السلم أكثر من ميله إلى الحرب، وأن يحظى برضا الأطراف اليمنية والعثمانية على حد سواء، وهذا ما يتوفر في شخص محمود نديم بك، بل أن بعض المصادر اليمنية ذكرت أن من بين توصيات اتفاقية دعان غير المعلنة طلب الإمام يحيى بن محمد حميد الدين تنصيب محمود نديم بك واليا لليمن [٢٧].

مراحل حكم الوالي محمود نديم بك باليمن (١٣٢٩-١٣٤٢هـ/١٩١١-١٩٢٣م)

يمكننا أن نقسم حكم محمود نديم بك في اليمن إلى ثلاث مراحل متقاربة في عدد سنواتها، مختلفة اختلافا كبيرا في نتائجها السياسية. ولعل مرد هذا الاختلاف راجع إلى طبيعة الأوضاع السياسية التي كانت تحياها اليمن والجزيرة العربية والعالم اجمع جراء المتغيرات السياسية التي سبقت وأعقبت الحرب العالمية الأولى.

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى (١٣٢٩ -١٣٣٣هـ/ ١٩١١-١٩١٤م)

تميزت هذه المرحلة بسعي محمود نديم بك إلى تهدئة الأوضاع في اليمن، وحل إشكالاته بطرق سلمية، وذلك تمشيا مع الجو السياسي العام الذي ساد اليمن بعد صلح دعان. ولعل أهم ما يميز هذه المرحلة، التقارب الواضح بين الوالي العثماني محمود نديم بك والإمام يحيى حميد الدين. ويتضح هذا التقارب جليا- على سبيل المثال- عندما وفد إلى الإمام يحيى بعض مشائخ قبائل تهامة عام (١٣٣٢هـ/١٩١٣م) تحضه على قتال السيد محمد بن علي الإدريسي لتحالفه مع الإيطاليين، فأمرهم الإمام بالتوجه إلى الوالي محمود نديم بك في صنعاء. بمعنى آخر فإن الإمام يحيى قد أحال أمر مناصرة هذه القبائل ضد الإدريسي للوالي العثماني محمود نديم بك، ولعل السبب الرئيس في ذلك مرجعه إلى أن مناطق سكناهم لا تقع في إطار مناطق هيمنة الإمام يحيى، وفي هذا احترام والتزام من الإمام بمقتضيات معاهدة دعان، ومهما كانت نوايا الإمام يحيى من هذه الإحالة، فإنها دليل واضح على ما كان يسود الأجواء بين الإمام يحيى والوالي محمود نديم بك من ود وتعاون. بل أن الإمام يحيى قد ذهب إلى أبعد من ذلك حينما أظهر حرصه على سلامة أحد مفارز الجيش العثماني النظامي التي غادرت تهامة إلى صنعاء، مرورا بمنطقة نفوذه الإدارية والعسكرية، وكانت القبائل قد تربصت بها

فسارع الإمام إلى إرسال بعضا من قادة جنوده لمصاحبة المفرزة العثمانية، وإيصالها إلى صنعاء سالمة آمنة [٢٧].

مقابل ذلك أظهر الوالي محمود نديم غاية الحرص والتقدير لمكانة الإمام حينما أراد التوجه إلى الحديدة، ثم اللحية ومن ثم إلى الشاهل بلواء حجة التابع لسلطة الإمام يحيى بحسب ما تنص عليه اتفاقية دعان، فاستأذن الوالي محمود نديم بك الإمام يحيى في مراسلة عاملها وهو السيد احمد بن يحيى قاسم عامر [٢٨]. بل إن الوالي كان يطلب النصح في بعض الأمور المهمة الداخلية من بعض مستشاري الإمام يحيى. من ذلك ما رواه الشرقي، وهو أحد مستشاري الإمام يحيى، حين قال: "ولكني لما وصلت صنعاء وصل الوالي المذكور لزيارتي، وأرسل ببعض من الإكرام، فوصلت إليه وأوضحت له إني لم أصل متعلقا بشيء إلا لخصوص ذلك الأمر الخاص الشرعي، وكأنه لم يسغ له عدم تعلقي بشيء، فطلب من النصيحة ما يجب، فأشرت إليه أنكم اعتنوا في جذب أهل تهامة من طاعته حتى يكونوا عليه لا له، فقبل الوالي تلك النصيحة وأرجعهم – وفد تهامة – إلى حضرة الإمام على رأي سديد ورأي أكيد" [٢٩].

كذلك حرص الوالي محمود نديم بك على التنسيق مع الإمام وزيارته في مناطق نفوذه للتشاور في شأن أمور البلاد، وخاصة ما يتعلق بتحالف الإدريسي مع الإيطاليين وحرص كلا الطرفين على فك هذا التحالف كما حدث في شهر شعبان من العام (١٣٣١هـ /١٩١٢م)، عندما أبدى الوالي محمود نديم بك رغبته في زيارة الإمام في منطقة إقامته بقفلة عذر للتباحث فيما يعود على البلاد بالخير، لكن الإمام يحيى كره لقاءه في ذلك المكان وأختار منطقة السودة من بلاد حاشد خشية على الوالي من جفاء أهالي قفلة عذر ولأنها أكثر مناسبة لمكانة الوالي [٣٠].

وتلخصت سياسة محمود نديم بك تجاه السيد محمد بن علي الإدريسي في مناصحته لفك تحالفه مع الإيطاليين بداية، ومن ثم العمل على إصلاح ما بينه

وبين الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، وقد سعى الوالي العثماني لكسب الإدريسي إلى جانبه إبان إرهاصات الحرب العالمية الأولى، بل وبعد نشوبها، رغبة في تشكيل وحدة إقليمية إسلامية في وجه الأخطار والمطامع الغربية المحيطة بالمنطقة، ولتحقيق هذا الهدف خرج على رأس وفد كبير كان من ضمن أعضاءه السيد القاسم بن حسين بن محمد العزي ممثلا عن الإمام يحيى حميد الدين، ويبدو أن الحكومة العثمانية كانت قلقة من أمرين مهمين أولهما الوجود الإيطالي في مناطق سيطرة السيد محمد بن علي الإدريسي، وثانيهما تزايد نفوذ الإمام يحيى حميد الدين، لذلك عملت على استقطاب الإدريسي بما لا يكدر صفو علاقتهم بالإمام يحيى.

وعلى الرغم من فشل المفاوضات بين العثمانيين والإدريسي إلا أنها أظهرت لنا بوضوح براعة محمود نديم بك وحنكته السياسية فيها، فقد حرص الوالي على أن يصطحب معه مندوبا عن الإمام يحيى في هذه المفاوضات لخشيته من أن ينظر الإمام إلى هذه المفاوضات على أنها محاولة لاسترضاء الإدريسي واستمالته على حسابه، مما قد يثير سخط الإمام واستياءه فيدفعه للنفور من العثمانيين والتمرد عليهم، خاصة وأن قيام الحرب العالمية الأولى قد جعل العثمانيين – تحت طائلة الحصار البريطاني – يتقاعسون عن دفع المخصصات الشهرية التي التزموا بها بموجب اتفاقية دعان لبعض شيوخ القبائل من رعية الإمام، وفي هذا ما قد يسوغ للإمام نقض الصلح معهم. بيد أن المساعي العثمانية لم تجد آذانًا صاغية من السيد محمد بن علي الإدريسي. مما دفع الوالي محمود نديم بك للعمل بعد ذلك على حربه ومناصرة الإمام في صراعه معه [٣١].

لقد كان التناغم كبيرًا بين الإمام يحيى والوالي محمود نديم بك في مواجهة المشكلات الداخلية التي تعترض كل الطرفين. وكمثالًا بارزًا على هذا التناغم نعرض لمشكلة حراز [٣٢] حينما تمكن الإدريسي من استمالة قبائلها، فتشاور الإمام

والوالي وأجمعا أمرهما على أن يتولى الوالي محمود نديم بك مكاتبة بعض مشائخ تهامة ومراجعتهم ومحاولة إقناعهم عن العدول عن مناصرة السيد محمد بن علي الإدريسي، لمكانة الوالي محمود نديم بين هذه القبائل. وقد خاطب الوالي محمود نديم بك السيد يحيى علي أحد شيوخ القحرا [٣٣] مظهرا له الود والتعاطف، في نفس الوقت الذي حذره فيه من مغبة التمرد على طاعة الإمام، والسلطان العثماني مستعملًا في خطابه أسلوب الوعظ الديني متهمًا المتمردين على أنهم من الذين باعوا دينهم وقومهم لخدمة النصارى[٣٤]. بيد أن هذه المناصحة لم تجد نفعًا، فأخبر الوالي محمود نديم بك الإمام يحيى بضرورة حربهم، فأرسل الإمام إليهم حاكم العر [٣٥] وجندًا كثيفًا من قبائل حاشد وبكيل، يرافقهم بعض الجند النظامي لهذه الحرب. وقد تولى الوالي محمود نديم بك الذي أقام في مناخة [٣٦] إرسال المؤن للجيش[٣٧].

لقد كان الإمام يحيى في أمس الحاجة للدعم العثماني في صراعه مع السيد محمد بن علي الإدريسي، ووجد في العثمانيين خير داعم فقد زودوه بالأسلحة والذخائر، إضافة إلى تحمل دفع ديات القتلى من القبائل المقاتلة للسيد الإدريسي[٣٨].

عمد العثمانيون إلى تعطيل قوات الإدريسي في تهامة، وإعاقة تحركاته فيها حتى يتمكن الإمام يحيى من السيطرة على المناطق التي كانت موالية للسيد الإدريسي كجبل رازح وبني جُماعة وحجور[٣٩]. ولما كان ولاء القبائل يتقلب تبعًا لمصالحها، فقد احجمت كثير من القبائل اليمنية عن مناصرة السيد الإدريسي، خاصة بعد أن تخلى عنه الإيطاليين بعد سيطرتهم على طرابلس الغرب سنة (١٣٣١هـ/١٩١٢م). وقد شرع محمود نديم بك في قطع الإمدادات التي قد تفد للإدريسي بمدرعات حربية عثمانية. على أن هذه الحروب تغير مسارها بعد إعلان الحرب العالمية الأولى وانحياز العثمانيين فيها إلى جانب دول المحور.

المرحلة الثانية ولاية محمود نديم بك باليمن (١٣٣٣-١٣٣٧هـ/١٩١٤-١٩١٨م)

تميزت هذه المرحلة بقيام الحرب العالمية الأولى، ومشاركة العثمانيين في هذه الحرب إلى جانب دول المحور. وتحولت اليمن في هذه المرحلة إلى حلبة للتسابق السياسي بين القوى العظمى لكسب تأييد الحكام المحليين. فقد سعى البريطانيون لكسب السيد الإدريسي ونجحوا في توقيع اتفاقية تحالف معه سنة (١٣٣٢هـ /١٩١٥م)، وأخرى في(١٣٣٤هـ /١٩١٧م)، كذلك نجحوا في سنة (١٣٣٢هـ/١٩١٥م) في جذب أحد مشايخ ماوية [٤٠] إلى صفهم، وسعوا في نفس الوقت للضغط على الإمام يحيى عن طريق حاكم لحج للانضمام إليهم في الحرب، لكن الإمام تذرع بعقده اتفاقية الصلح مع العثمانيين في سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م)، وكان هدف البريطانيين من عقد هذه التحالفات فتح جبهات داخلية في اليمن لإشغال قوات العثمانيين عن مهاجمتهم في عدن. ذكر الكولونيل جيكوب (Jacob) أن البريطانيين سعوا لكسب كل زعيم تربطهم به معاهدة، وعملوا على كسر تهيب هؤلاء الزعماء من الإمام والعثمانيين بتزويدهم بالدعم المسلح، من جهة أخرى عمد البريطانيون إلى إصدار بلاغ أعلنوا فيه سنة (١٣٣٣هـ/١٩١٤م) أن الأماكن المقدسة، وجدة مناطق محرمة ومحصنة من أي هجوم من السفن البريطانية، لتأكيد حسن نواياهم تجاه الحكام العرب. ويضيف جيكوب أنه وقف على اتفاقية بين الإمام وسلطان لحج في بداية (١٣٣٣هـ/١٩١٤م) تقضي بامتناع الإمام عن القيام بأي نشاط في الحرب العالمية الأولى والكف عن المشاركة فيها[٤١].

من جهتهم فقد سعى العثمانيون إلى إبقاء الإمام يحيى على موقفه السابق المهادن لهم مع الحرص على كسبه إلى صفهم بوسائل الترغيب الممكنة، وإمعانا في ترابطهم معه طالبه الوالي محمود نديم بك بمحاولة كسب سلطان لحج إلى

صفهم، ولم تجد تلك المحاولات شيئا في كسب ود سلطان لحج لارتباطه بمعاهدات سابقة مع البريطانيين[٤٢]. وحري بنا أن نقف قليلا لنتأمل موقف الإمام يحيى من الحرب، وأسلوب محمود نديم بك في التعامل معه علّ ذلك يعيننا لا حقا على تحديد إطار شخصية محمود نديم بك.

لقد كان الإمام يحيى حريصًا على ألا ينقاد إلى حرب قد تكلفه غاليًا في مستقبل الأيام، لذلك فضل موقف الحياد المعلن منها، فلم يناصب البريطانيين العداء، ولم يعلن دعمه الكامل للعثمانيين. ولعل الإمام يحيى رأى أن من الأصلح له شخصيا أن يقف موقفا إيجابيا من حروب العثمانيين في الجبهة الشمالية (تهامة) ضد السيد محمد بن علي الإدريسي، لأن في ذلك مصلحة مباشرة له في حرب عدوه اللدود، وأن هذا الموقف قد يفسَّر من قبل البريطانيين على أنه موقف شخصي من الإدريسي وليس من الحرب برمتها. من جانب آخر عارض بشدة الحملة العثمانية على مناطق الجنوب ولم يشارك فيها رسمياً، التزاماً منه كما يبدو بالوعد الذي قطعه على نفسه لسلطان لحج والبريطانيين[٤٣].

لقد وقف الإمام يحيى من الحرب العظمى موقف المحايد المتربص لما قد تؤول إليه نتائجها، فالدولة العثمانية وإن كانت قد عقدت معه صلحا قبيل الحرب، فهي ذات الدولة التي ناصبت دولة الأئمة العداء خلال مختلف مراحل حكمها العسكري في اليمن، ولا يعدو الصلح الذي وُقع بين الطرفين (صلح دعان) أن يكون صلحا مؤقتا كغيره مما سبق وأن ابرم مع أسلافه، أما البريطانيين فهو كاره لاحتلالهم مدينة عدن وهيمنتهم على النواحي التسع التي يرى الإمام أنها جزء لا يتجزأ من أرض اليمن الموحدة، وهذا ما نادى به لاحقا بعد الاستقلال برفعه شعار اليمن الكبرى. من جهة أخرى فإن تحالف البريطانيين مع السيد محمد بن علي الإدريسي زاد من تخوف الإمام يحيى من النوايا البريطانية في اليمن[٤٤]، يضاف إلى ذلك رغبته في الحفاظ على قواته وإمكاناته المادية سليمة لاستعمالها لاحقا

فيما قد يحقق طموحه السياسي، لذا رأى أنه من الحكمة مراقبة أحداث الحرب، دون الدخول فيها وانتظار ما ستسفر عنه ليحدد ولاءاته بناء على رؤى واضحة[٤٥].

ومن الثابت أن جبهة القتال في اليمن كانت هادئة نسبيا على صعيد العمليات العسكرية مقارنة بالجبهات الأخرى في الشرق الأوسط أو في أوروبا، بيد أن الجبهة اليمنية لم تخلو من تحركات عسكرية كان لها الأثر الكبير على مجريات الأمور السياسية في اليمن. فقد عمد العثمانيون إلى تسيير حملة عسكرية كبيرة سارت من صنعاء لمهاجمة البريطانيين في عدن والمحميات. وقد نجح القائد العسكري العثماني العام علي سعيد باشا في السيطرة على لحج مكتفيا بذلك لتنتهي العمليات العسكرية البرية في اليمن عند هذا الحد[٤٦]، إلا ما كان يدور في عسير على يد الإدريسي، أو ما كانت تقوم به السفن البريطانية في البحر الأحمر. ومن الجدير بالذكر فإن الإمام قد امتنع عن المشاركة الرسمية في هذه الحملة تمشيا مع موقفه المحايد من الحرب، بيد أنه سمح لمن أراد التطوع من أتباعه بالمشاركة فيها، وتعهد لمحمود نديم بك عند لقائهما في عمران سنة (١٣٣٣هـ/١٩١٤م) بعد إعلان دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا ودول المحور بأن يقدم المساعدات الممكنة للعثمانيين وقد حُصرت هذه المساعدات في إقراض العثمانيين بالمال، أو تزويدهم بالمؤن، وبناء على ذلك تم إقراض العثمانيين اثنا عشر ألف قدح من الحبوب[٤٧].

جدير بالذكر فإن الحصار الذي فرضه البريطانيون على السواحل اليمنية، إضافة إلى تمركز قوات السيد محمد بن علي الإدريسي في تهامة أضر كثيرا بالحاميات العثمانية باليمن، وتعدى ذلك الضرر إلى اليمن برمته حيث عانت البلاد من تدهور الأوضاع الاقتصادية إلى أقصى درجاتها[٤٨]، وشاع بين أوساط اليمنيين إبان تحرك الجيش العثماني للجنوب، أن الإدارة العثمانية قررت التخلي

عن الشمال (تهامة) تحت وطأة الحصار البحري البريطاني، فسارع الوالي محمود نديم بك بنفي ذلك في برقية أرسلها للإمام يحيى ويطلعه في نفس الوقت على مسير الجيش العثماني في الجنوب وما يحققه من انتصارات، على الرغم مما صادفه هذا الجيش من تقاعس من بعض أتباع الإمام(٤٩)، ولعل في برقية محمود نديم بك هذه إلماحا إلى حقيقة موقف الإمام من الحرب الذي وإن لم يبد حماسا لمشاركة العثمانيين فيها، إلا أنه كان متعاطفا معهم بحكم الرابطة الدينية، وأن هذا التعاطف تمثل في تعهده بإرسال المؤن والمتطوعين، لذلك حرص الوالي محمود نديم بك على إخباره ببعض الإنجازات التي حققتها الحملة، ولعل العتب الذي أبداه محمود نديم بك على الإمام بتأخره في إرسال الدعم المالي يوحي بأن الموقف المعلن من الإمام يحيى كان الحياد، بينما موقفه غير المعلن كان الدعم والتعاطف الذي لا يصل إلى حد يجبره على دخول الحرب ضد أي من الطرفين.

لقد كان الإمام يحيى حريصا على ألا يساق إلى الحرب دون مشيئته، أو يأتي بأي تصرف يحسب على أنه تحيز للعثمانيين، ويتضح ذلك جليا عندما تقاعس عن إرسال مندوبيه لاستلام مناطق الجنوب (لحج، الصبيحة، الحواشب، الضالع، يافع العليا والسفلى، وبلاد الفضلي) التي سيطر عليها الجيش العثماني قبل أن تعلن الهدنة، على الرغم من إلحاح القائد العسكري علي سعيد باشا عليه لفعل ذلك(٥٠). وتباين موقف الإدارة العثمانية ممثلة في كل من محمود نديم بك، وعلي سعيد باشا من هذا التقاعس. فعلى حين أرسل القائد علي سعيد باشا خطابات شديدة اللهجة للإمام يحيى يتهكم فيها عليه ويستنكر موقفه هذا، بل ويتهمه بإضاعة الجنوب اليمني(٥١) أبدى الوالي محمود نديم بك عتابا هادئا للإمام يحيى، في رده على الإمام عندما استفسر الأخير عن سبب تأخر العثمانيين في السيطرة على النواحي التسع، فذكر الوالي له أن ذلك يعود لعدد من الأسباب منها "عدم مساعدتكم – أي الإمام يحيى– لتوجهنا لهذه الجهات بوقتها، وإخطاركم لنا

بعدم إجراء الحركات العسكرية إلا بعد استمالة أهالي النواحي التسع، وبعدم التعرض إلى يافع ولحج"(٥١).

ويبدو أن الإمام يحيى والوالي محمود نديم بك كانا قد استشعرا هزيمة الدولة العثمانية في الحرب، وأن أمر حكم اليمن لن يخرج عن القائدين الأبرزين على الساحة اليمنية: فإما الإمام يحيى حميد الدين الذي وقف محايدا، أو السيد محمد ابن علي الإدريسي، الذي ارتبط بحلف مع البريطانيين، ولما كان الوالي محمود نديم بك والسيد محمد بن علي الإدريسي على طرفي نقيض، عمل الوالي محمود نديم بك على الحفاظ على الود مع الإمام يحيى، بل وتمكينه كما سنرى لا حقا من الاستحواذ على ممتلكات العثمانيين بها.

ونتساءل هنا عن المبررات التي كانت وراء مواقف محمود نديم بك الإيجابية هذه من الإمام يحيى؟ فهو لم يتخذ الموقف الذي كان عليه القائد العسكري العام في الجنوب علي سعيد باشا من الإمام، على الرغم من أن مصلحة الدولة العليا تقتضي في هذه المرحلة الحاسمة توحيد المواقف السياسية للإدارة العثمانية، بل على العكس من ذلك كان الوالي مناصرا للإمام في موقفه حتى اتهم من قبل القائد العسكري علي سعيد باشا بأن محمود نديم بك، والإمام يحيى عملا معا على تشويه سمعة هذا القائد العسكرية، وأنهما امتنعا عن المشاركة في الحرب التي كان يخوضها في الجنوب(٥٢).

ويدفعنا هذا السؤال إلى عدد من الأسئلة التي تكشف حجم صلاحيات الوالي محمود نديم بك في ولايته، وطبيعة العلاقة بينه وبين القائد العسكري علي سعيد باشا، وهل كان الأخير يأتمر بأمر الأول، وهل كان للقب الباشوية الذي يتمتع به علي سعيد ولم ينله الوالي محمود نديم إلا مجاملة بعد عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م دلالة تعكس سبب الخلاف بينهما؟ وعلى الرغم من عدم قدرتنا على الإجابة عن هكذا أسئلة بحكم شح المصادر التي تناولت هذا الموضوع إلا أننا نستطيع أن نذهب

إلى تصور أن ظروف الحرب العالمية الأولى قد رفعت كثيرا من الدور الذي يمكن أن يلعبه القائد العسكري العام على حساب الوالي الذي كان يتولى الأمور السياسية والإدارية للولاية، ولعل استشعار هزيمة الدولة العثمانية من كلا القائدين جعل كلا منهما يتصرف وفق طبيعته التي جبل عليها. فالوالي كان سياسيا يحاول التعامل وفق متغيرات الحياة السياسية بما يراه ممكنا، في حين أن القائد علي سعيد باشا بطبيعته العسكرية يريد أن يفرض أمرا واقعا يمكن له أو لمن يمثله تحقيق نصر ما.

من الثابت أن محمود نديم بك عمد إلى تقوية مركز الإمام يحيى في اليمن بعد الحرب بأن سلمه ممتلكات العثمانيين بها، على عكس ما تقضي به اتفاقية السلام التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، التي تنص على أن يتسلم الحلفاء – باعتبارهم المنتصرين في الحرب –ممتلكات الدول المهزومة، وعلى ذلك فإن بريطانيا هي التي يحق لها وراثة ممتلكات العثمانيين في اليمن وليس الإمام يحيى حميد الدين الذي لم يشارك في هذه الحرب(٥٣).

المرحلة الثالثة من مراحل حكم الوالي محمود نديم بك في اليمن: (١٣٣٧-١٣٤٣هـ/ ١٩١٨-١٩٢٤م)، (مرحلة ما بعد الولاية)

بنهاية الحرب العالمية الأولى عام (١٣٣٣هـ/١٩١٨م) وهزيمة الدولة العثمانية فيها انتهى دور الوالي العثماني في اليمن عمليا، بيد أن الوالي محمود نديم بك ظل رافضا للتسليم بالهزيمة رغبة في اكتساب بعض الوقت الذي يستطيع فيه تقوية موقف الإمام يحيى وتسليمه بعض مواقع العثمانيين ومعداتهم باليمن، وبما أن محمود نديم بك قد دخل في خدمة الإمام يحيى مباشرة بعد الحرب وكان المحرك الأساس لسياسات الإمام تجاه البريطانيين فقد أدخلنا المرحلة الثالثة هذه ضمن مراحل حكمه تجاوزا، لأن هذه المرحلة تعتبر امتدادا لنهجه إبان سنوات الحرب في اليمن. وقد تميزت سياسة الوالي العثماني محمود نديم بك في هذه

المرحلة بعدائه الشديد للبريطانيين، وسعيه الدءوب لتأجيج عداوة القبائل والقيادات اليمنية عليهم، وعلى كل من تحالف معهم من القيادات العربية كالإدريسي، والشريف الحسين بن علي حاكم الحجاز. وقد شهدت هذه المرحلة الإقرار بهزيمة دول المحور. وبدء العمل في تقسيم تركة الحرب بعد مسارعة الصدر الأعظم العثماني عزت باشا إلى طلب الصلح من البريطانيين والفرنسيين، فعقدت هدنة بين الطرفين في ٢٥ محرم (١٣٣٧/٣٠ أكتوبر ١٩١٨م)[٥٤]. وكانت الهدنة قد قضت بأن تضع الدولة العثمانية قواتها البحرية والبرية ومعداتها بيد البريطانيين، وبناء على ذلك صدرت أوامر الأستانة لقواتها عن طريق الحلفاء بالتسليم إلى أقرب مركز من مراكز الحلفاء. وقد تلقى محمود نديم بك أمرًا تلغرافيًا بالشفرة السرية، وصل إلى لحج عن طريق عدن، وعليه اسم الصدر الأعظم عزت باشا، فرأى محمود نديم بعد التشاور مع الإمام يحيى، أن هذه الأوامر لا تعنيه، فهي صادرة من لندن وليست من الأستانة[٥٥].

وقد سارع الوالي محمود نديم بك والقائد العام للقوات العثمانية باليمن أحمد توفيق باشا بدعوة الإمام للقدوم إلى صنعاء واستلام قصر غمدان (وهو قصر الحكم)، والمعدات الموجودة في صنعاء وسائر الجهات اليمنية. وأرسل كل من الإمام يحيى والوالي محمود نديم بك، والقائد العسكري العام للقوات العثمانية باليمن توفيق باشا أمرًا لقائد القوات العثمانية في لحج علي سعيد باشا، يطالبونه فيه بعدم الاستسلام للبريطانيين، وعدم تسليم الأسلحة والمعدات العثمانية[٥٦]. بيد أن القائد علي سعيد باشا اختار التسليم للبريطانيين لقناعته بأن الحرب قد انتهت، وأن مهمته كقائد عسكري تتوقف عند إطاعة الأوامر الواردة إليه من الأستانة[٥٧].

ويوضح علي سعيد باشا موقفه هذا بجلاء في برقيته التي بعثها لأحمد توفيق باشا في ٢٧ تشرين أول رومي (١٣٣٤) (١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م) عندما قال "وبما أن حكومتنا المتبوعة قد قبلت أساسات الصلح مع حكومة انكلترة وحلفائها

بتاريخ ١٨ تشرين أول سنة ١٣٣٤ رومي، وبعد أن رست مراكب الإنكليز وحلفائهم في مراسي دار السعادة بالصورة الودية وسويت أمور وضع الهدنة، فبهذه الصورة التي هي عن قواعد الهدنة المبلغة رسميًا من حكومة انكلترة حصل هيجان عظيم بين العساكر والأهالي وفي داخل الخطط الحربية، فتلافيت الأمر مسرعًا لأجل تسكين ذلك الهيجان... وكما ظهر لي من جواب سيادة الإمام بتعبير كلمة (لقد ساءنا) قاصدًا بهذا التعبير تقبيحي وما حمله على ذلك إلا مقاصدكم، وأغراضكم الخصوصية لبعض أسباب، كاشتراككم مع والي اليمن بنشرياتكم وإشاعتكم غير اللائقة والمخالفة للحقيقة، قاصدين إهانتي عند عموم أهل اليمن المحترمين... إن كل ذلك ليس له عندي أهمية بمثقال الذرة لمالي من سوابق الخدمة خصوصا في هذه التربة المقدسة اليمانية، وما قمت به من المحافظة والمدافعة والثبات والمحاربة المتواصلة ضد العدو في باب المندب، وباب عدن، منذ أربع سنوات، وكل ذلك بمساعدة ومظاهرة رؤساء مجاهدي وأهالي لواء تعز لما بذلوا من أرواحهم وأموالهم خدمة للدين والوطن، أما حضرة الإمام ووالي الولاية وجنابكم فلم يكن لكم نصيب في شيء من المعونة المادية أو الفعلية نحونا سوى الكلام لا غير مع حرماننا من كل شيء"(٥٨).

يتضح من فحوى البرقية السابقة مدى الخلاف الذي كان بين القادة العثمانيين باليمن. فالقائد العسكري علي سعيد باشا، تصرف بفردية مطلقة ورفض إتباع أوامر قيادته السياسية، حيث أدرك بخبرته العسكرية أن الحرب في واقع الأمر قد انتهت، وأن الدولة العثمانية قد هزمت فيها، وأن التسليم حاصل إن آجلا أم عاجلا، وأن أمر التسليم قد ورد إليه من قيادته العليا، فلم إذا إضاعة الوقت، وإراقة مزيد من الدماء. ولعل القائد علي سعيد باشا كان يحمل في نفسه كثيرا من التحفظات على الإمام يحيى، والوالي محمود نديم بك بل وحتى القائد العسكري العام أحمد توفيق باشا. هذه التحفظات دفعته إلى المسارعة بالتسليم، فقد رأى هذا القائد أن كل من الوالي محمود نديم بك، والإمام يحيى حميد الدين قد خذلاه عندما

كان يلح في طلب العون في الجبهة الجنوبية، فلم يكلف الإمام نفسه بذل ذلك الدعم، علاوة على أنه – أي الإمام – قد تقاعس عن استلام مناطق الجنوب عندما طلب منه علي سعيد باشا، ذلك بعد سيطرته عليها، بل أن الإمام والوالي زيادة على ذلك قاما باتهام علي سعيد باشا بأنه متواطئ مع الأعداء[٥٩].

ويختلف موقف الوالي السابق لليمن من الإمام يحيى عما كان عليه موقف علي سعيد باشا، فقد كان لمحمود نديم بك حساباته الخاصة للأمور والتي تختلف في أسبابها ومراميها عما كان لدى علي سعيد باشا. لقد كان الوالي السابق مؤمن بإمكانية قيام الدولة العثمانية من كبوتها، وأن تكاتف المسلمين، سيحول دون هزيمة الدولة وتفككها، ورأى أن من صالح المسلمين، واليمن على وجه الخصوص عدم التسليم بالهزيمة، والعمل على محاربة البريطانيين وحلفائهم في المنطقة، وهذا الأمر يفسر لنا بوضوح المواقف العدائية المتبادلة بينه وبين البريطانيين– كما سيتضح لاحقا– كما يفسر لنا موقفه العدائي من الإدريسي وحماسه الشديد وإيمانه بإمكانات الإمام يحيى حميد الدين الشخصية.

قد يكون محمود نديم بك في موقفه هذا مدفوعا بحكم عاطفته الدينية الجياشة التي تضح في عدد من البرقيات التي أرسلها عام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م) لبعض شيوخ القبائل في تهامة و للأمراء والقادة المسلمين خارج اليمن[٦٠]، فهو مرتبط بالحكومة العثمانية مؤمن بجدوى استمرارها لأن فيها الخير والأمن لليمن، وأن الإمام يسايره في نفس الاتجاه، وأن البريطانيين وحلفائهم يعملون على ضرب الإسلام والمسلمين في هذه الرقعة اليمانية المباركة، من جهة أخرى، يمكن لنا تفسير هذا الحماس والعداء برغبة الوالي السابق ضمان منصب كريم ومستقبل وظيفي مرموق له في اليمن، بعد أن أيقن بهزيمة الدولة العثمانية، لذلك عمل الوالي محمود نديم بك على المماطلة في الاستسلام بغرض كسب الوقت، ليمكن الإمام من تثبيت حكمه في المناطق التي سيرثها عن العثمانيين، بل لقد ذهب

لأكثر من ذلك عندما أخذ يراسل زعماء القبائل داخل اليمن، يحثهم على مواجهة الدسائس البريطانية، وضرب حلفائهم في المنطقة، كما يتضح من رسالته إلى السيد احمد فتيني شيخ مشايخ الطايف (قبيلة الزرانيق)(٦١)، ويبدو أن محمود نديم بك كان يريد إبقاء حالة الحرب في منطق تهامة، وبالذات بالقرب من الحديدة لإزاحة الإدريسي عنها تنفيذا لرغبة ومصلحة الإمام يحيى(٦٢).

ولم يكتف محمود نديم بك بمراسلة بعض القوى اليمنية المحلية، وإثارتها ضد البريطانيين وحلفائهم، بل راسل عددا من القيادات العربية والإسلامية خارج اليمن -كما ذكرنا سابقا-، فأرسل إلى مصطفى كمال باشا حاكم أنقرة (ومؤسس تركيا الحديثة)، يستنكر قبول هدنة (١٣٣٧هـ/١٩١٨م)، ويوضح أن هذه الهدنة أدت إلى إحباط اليمنيين، وأن الجنود العثمانيين اضطروا للتسليم متحملين بذلك المذلة والمهانة نتيجة لأخطاء الغير، وأن ما يتحملوه في اليمن الآن فوق ما يمكن أن يتحمله بشر، ووضح كيف أن مسلمي اليمن محبون للأتراك، وأنهم إلى هذه اللحظات العصيبة مرتبطين بالحكومة العثمانية، ولا يبغون عنها انفصالًا، وأنهم ينظرون إلى حكومة تحكمهم بما كانت عليه الأوضاع في وقت السلم، ويؤكد الوالي السابق لمصطفى كمال باشا على ما كان قد سبق وأخبره فيه في مراسلاته السابقة في: الخامس من أكتوبر (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م)، والسابع من نوفمبر (١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)، والرابع عشر من مايو (١٣٤٠هـ ١٩٢١م)، وأخيرا في السابع من يوليو (١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م)(٦٣). وأخذ الوالي السابق يظهر أهمية الإمام يحيى في اليمن ودوره الإيجابي مع الحكومة العثمانية منذ توقيع اتفاقية دعان، وأثناء الحرب العالمية الأولى. وأن الإمام يحيى لا زال وفيًا للدولة العثمانية، ولخليفة المسلمين قلبًا وقالبًا، وأنه يفضل البقاء تحت المظلة العثمانية على أن يكون ضعيفا نهبا للقوى الغاشمة. وأوضح محمود نديم بك أنه بعد انسحاب العثمانيين من الحديدة نتيجة للهدنة المشئومة، احتلت بريطانيا المدينة وأدارتها مؤقتًا، وإنه وبإشارة منه – أي محمود نديم بك – ثارت قبائل المنطقة وخاصة قبيلة الزرانيق،

وهاجمت الحديدة، واستمروا في هجومهم حتى اضطر البريطانيون للانسحاب، وتسليمها للإدريسي. وأن رغبات الأهالي في المنطقة تتركز حول طرد الإدريسي من الحديدة، وأنهم طلبوا منه العمل على تحقيق ذلك [٦٤]. وأوضح الوالي السابق أيضًا أن اليمن بتعدادها البالغ خمسة ملايين نسمة بما في ذلك حضرموت يسودها التفكك والانقسام، وأن الرجل الذي يقف وحيدًا في مواجهة الأعداء هو شيخ مشايخ قبيلة الزرانيق السيد أحمد فتيني، الذي كان ثائرًا على العثمانيين، لكن وجراء تعامله ونصحه الدائم له قد أصبح من اشد المتمسكين بالحكم العثماني، حتى أنه قد تأثر كثيرا من الانسحاب العثماني من الحديدة، لأنه سيصبح تحت رحمة الإدريسي وحلفائه البريطانيين. لذلك أعلن الجهاد عليهم بين قبائل تهامة لإعادة الحكومة العثمانية مرة أخرى. وأشار محمود نديم بك بأنه لو ذهب بالقرب من الحديدة لتمكن من تحريرها وإعادتها لحظيرة السلطنة. وأفاد أن جميع الاتصالات سوف تتم عن طريق مصوع عبر الحكومة الإيطالية التي وافقت على أن تكون هي وسيط الاتصالات. وعبر محمود نديم بك بأن أهالي تهامة علاوة على الإمام وجميع الزيديين والشوافع، يرغبون في إرسال وفد منهم لمؤتمر أنقرة لكنهم غير قادرين على ذلك بسبب الحصار البري والبحري المفروض عليهم من قبل البريطانيين والإدريسي، وأنهم عوضا عن إرسال الوفد سيرسلون أحد الأعيان وهو السيد علي الأهدل كممثل لهم في أنقرة ليعبر عن مدى ولائهم وارتباطهم بالعثمانيين. وأفاد محمود نديم بك بأن أهالي تهامة وقبائلها إذا ما رأوا فرقة من الجيش تحمل العلم العثماني تصل إلى أي من موانئ اليمن، سيفرحون بوصولها، ولا شك أن ذلك سيغير الوضع القائم في تهامة. ويسترسل محمود نديم بأن سلامة اليمن وأمنها يكمن في ظل الحكومة العثمانية، وما عدا ذلك يكون معناه القتال وسفك الدماء. ويطالب محمود نديم بك حاكم أنقرة بعدم إهمال اليمن، وإرسال الدعم بأسرع وقت ممكن عن طريق إرسال سفينة تحمل العسكريين والمعدات والأموال لتحقيق الغرض المنشود.

ولضمان تحقيق هذه المهمة أرسل الوالي السابق محمود نديم بك رسالة شخصية لحاكم عصب الإيطالي السيد لينشوني (Linchoni) عام (١٣٤٠هـ/١٩٢٢م) يوضح له الأعمال السيئة التي تقوم بها بريطانيا وحليفها السيد محمد بن علي الإدريسي في اليمن، ويطلب منه عمل كل ما يمكن لضمان وصول السيد علي الأهدل إلى غايته في الأستانة وأنقرة. منوها بالعلاقات التي تربط الطرفين ببعضهما البعض[٦٥].

وفي الإطار نفسه فقد راسل الأمير عمر طوسون باشا[٦٦] في نفس العام موضحا الممارسات السيئة للحكومة البريطانية في اليمن وما آلت إليه الأوضاع بها، وأسباب بقائه وبعض الجند، وأعضاء من الإدارة العثمانية فيها، مبررا ذلك بحاجة الإمام يحيى واليمن إليهم في هذا الوقت العصيب. كما أوضح الوالي السابق في خطابه، أن اليمنيين كافة لا يرتضون بديلا عن الدولة العلية حاكما، وأن اليمنيين يتوقون لرؤية الجنود العثمانيين عائدين لليمن، وسيذلون من أجل ذلك كل غال ونفيس. وأوضح أنه قد عرض كل هذه الأمور على مصطفى كمال باشا حاكم أنقرة، والزعماء الأوربيين في مؤتمر الصلح. وطالب محمود نديم بك الأمير عمر طوسون باشا ببذل الجهد، لعرض القضية اليمنية للمصريين والعالم أجمع عن طريق الصحف المصرية[٦٧].

وبنظرة فاحصة لهذه الرسائل يتضح لنا مدى العداء الذي كان يكنه محمود نديم بك للبريطانيين، وحلفائهم -على وجه التحديد السيد محمد بن علي الإدريسي، هذا العداء الذي استمر حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ورحيل القوات العثمانية عن اليمن إثر هدنة (١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م)، ومن الجدير بالذكر أن الوالي السابق لليمن قد قرر البقاء في اليمن للعمل في خدمة الإمام يحيى حميد الدين، عندما عرض عليه الإمام يحيى ذلك، حيث طالبه الإمام بالبقاء مع من يريد من الموظفين الإداريين، والعسكريين للمحافظة على العباد، والانتفاع بهم في إدارة

البلاد، ووعده الإمام بإبقاء مخصصاتهم وتكاليف إقامتهم في اليمن، على أن القائد العام للقوات العثمانية أحمد توفيق باشا قرر اللحاق بعلي سعيد باشا والاستسلام للحلفاء[٦٨]. وكان بقاء محمود نديم بك في خدمة الإمام إيذانًا باستمرار عدائه للبريطانيين، وحلفائهم في المنطقة، في ذات الوقت الذي ظل فيه يعمل بذكاء وإخلاص دائبين لخدمة مصالح الإمام وتقوية نفوذه في اليمن. فالحرب العالمية الأولى انتهت حقيقة، وبدت نتائجها تظهر على الساحة اليمنية، وكان على محمود نديم بك أن يعمل في مهمته الجديدة لتجيير ثمار بعض هذه الحرب للإمام يحيى. وكان من نتائج هذه الحرب ارتفاع شأن السيد محمد بن علي الإدريسي في منطقة تهامة باعتباره شريكا في الحرب إلى جانب الدول المنتصرة. فعمد محمود نديم بك إلى إثارة القبائل على الإدريسي والبريطانيين، مستغلًا حالة التعتيم الإعلامي الذي نجم عن الحصار الشديد الذي فرضه البريطانيون والإدريسي على كافة الاتصالات باليمن، حتى غدت اليمن معزولة بشكل يكاد يكون كاملًا عن العالم الخارجي. لقد ساعد هذا الوضع محمود نديم بك على إثارة القبائل بحجة أن القوات العثمانية لم تهزم، وأنها عائدة لليمن[٦٩].

ومما هو معروف أن الدولة العثمانية كانت قد هزمت في هذه الحرب، وترتب على هذه الهزيمة مطالبة بريطانيا للعثمانيين بنقل ممتلكاتهم من أسلحة ومعدات وتسليمها لمراكز الدول المنتصرة، وهذا يعني أنه من المفترض تسليم مناطق اليمن الأسفل التي كانت واقعة في نطاق الحكم العثماني بموجب اتفاقية دعان، للبريطانيين وحلفائهم، والأمر ينطبق كذلك على مناطق الهيمنة العثمانية في صنعاء. وعلى العكس من هذه المقررات، سعى محمود نديم بك بكل فعالية إلى تسليم ما تحت يد العثمانيين من مناطق وأسلحة للإمام يحيى حميد الدين، متحججا بأن ترك المناطق العثمانية في اليمن، بعد صدور أمر ترحيل القوات العثمانية سيجعلها دون قيادة شرعية، وهذا سيؤدي إلى انتشار الفوضى واختلال الأمن، لذلك عمد إلى تسليم هذه المناطق للإمام يحيى حيث إنه الأقدر والأكثر

تأهيلا لإدارتها، بل إن الوالي سارع بدعوة الإمام للقدوم إلى صنعاء واستلامها من الإدارة العثمانية، ودعا محمود نديم بك الجنود العثمانيين لتسليم أنفسهم للإمام. كذلك سعى محمود نديم بك إلى تسليم كافة المعدات والأسلحة العثمانية للإمام يحيى، على عكس ما تقتضيه اتفاقية الهدنة بين العثمانيين والحلفاء. وكانت حجته في ذلك أن للإمام ديون مستحقة عند العثمانيين، وأن في تسليمه هذه المعدات مقايضة للإمام على هذه الديون التي سوف لن يتمكن العثمانيون من الوفاء بها[٧٠].

نخلص مما سبق أن السيد محمود نديم بك قد بدأ مهمته الجديدة في خدمة الإمام يحيى بتحقيق نصر مادي ومعنوي للإمام، فعلى الرغم من عدم مشاركة الإمام في هذه الحرب واتخاذه جانب الحياد، إلا أنه نال جزءًا من ثمارها، وقد تمثلت هذه الثمار في السيطرة على كثير مما كان تحت يد العثمانيين من مناطق باليمن وامتلاكه بعضا من المعدات والأسلحة العثمانية أيضا، وما كان ذلك ليتأتى للإمام يحيى لولا وقوف الوالي العثماني السابق لليمن محمود نديم بك إلى جانبه وتمكينه من هذه الممتلكات.

استمر محمود نديم بك على علاقته العدائية مع البريطانيين إبان فترة خدمته للإمام يحيى، وقد تجلى ذلك واضحا في استمرار إثارته للقبائل في تهامة، وأدى هذا الدور الذي لعبه محمود نديم بك في اليمن إلى شكوى المسئولين البريطانيين في عدن من أعماله لرؤسائهم في الحكومة البريطانية. فقد كتب المقيم السياسي البريطاني في عدن لمفوض الهيئة البريطانية في الأستانة يوضح رغبة المقيم السياسي في أن يغادر محمود نديم اليمن إلى الأستانة[٧١]، كذلك عبرت رسالة أخرى من المقيم السياسي في عدن لوزير المستعمرات البريطاني في فبراير (١٣٣٩هـ/١٩٢٢م) عن رغبته في مشاهدة محمود نديم وأسرته يرحلون إلى

الأستانة، واقترح المقيم السياسي ترحيله عن اليمن وبأسرع وقت ممكن على حساب الحكومة البريطانية[٧٢].

استمر محمود نديم بك يعمل في خدمة الإمام يحيى بعد خروج العثمانيين من اليمن – كما أشرنا سابقا –، وكان خلال هذه الفترة كما يبدو مستشار الإمام السياسي، خاصة فيما يتعلق بسياسة الإمام يحيى الخارجية. وقد حرص على استمرار ارتباط الإمام يحيى بالحكومة العثمانية حتى عام (١٣٣٩هـ/١٩٢٢م)، على الرغم من هزيمتها، ولعله كما يبدو من تحركاته السياسية كان أشد ارتباطا بالحكومة التركية في أنقرة، بمعنى آخر كان محمود نديم بك يحاول إيجاد تحالف ما بين الإمام وبين الحكومة العثمانية التي كان يرى إمكانية استمرارها وأنها ستخرج قوية من ركام الحرب، وكان مصطفى كمال باشا هو المعوُل عليه في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الدولة العثمانية. لذلك حرص محمود نديم بك على الاتصال به، وحثه على الوقوف إلى جانب إمام اليمن لمواجهة أعداءه حلفاء بريطانيا من الحكام المحليين، مبديا للزعيم التركي مدى إخلاص الإمام يحيى حميد الدين للحكومة العثمانية في سابق الأزمنة، ووقوفه إلى جانبها بالدعم والمساعدة في الحرب العظمى[٧٣].

من جانبهم فقد حرص البريطانيون على متابعة تحركات محمود نديم بك داخل اليمن وخارجها متابعة دقيقة، ورصد هذه التحركات وتحليلها وربطها مع غيرها من تحركات الشخصيات اليمنية الأخرى، في دلالة واضحة على مدى إدراك البريطانيين للدور الذي يلعبه محمود نديم في رسم سياسة الإمام يحيى تجاه البريطانيين. يدلنا على ذلك الرسائل المتبادلة بين المقيم السياسي البريطاني في عدن، والقناصل البريطانيين في كل من جدة، وروما، وبيروت، مع وزير المستعمرات البريطاني في عام (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م)، فقد رصدت مجموعة الرسائل هذه تحركات محمود نديم من اليمن إلى أنقرة في مهمة سياسية ترويجية للإمام

يحيى حميد الدين عند حاكم أنقرة، حيث ورد فيها أن السيد محمود نديم بك كان ينوي الذهاب إلى روما، وأنه غادر اليمن، إلى جدة متجها إلى روما على ظهر سفينة ايطالية، في مهمة طلب مساعدة وأسلحة للإمام، في نفس الوقت الذي توجه فيه وزير خارجية الإمام يحيى السيد عبدالله بن إبراهيم إلى عصب في زيارة لحاكمها الإيطالي. وقد فسر الساسة البريطانيون هذه الزيارة على أنها دليل تقارب بين الإمام يحيى والإيطاليين، وأن هذا التقارب لابد وأن يكون بإيحاء من الوالي السابق الذي تربطه علاقات جيدة بحاكم عصب الإيطالي، وأن رحلة محمود نديم بك لإيطاليا إن حدثت فهي لتحقيق منفعة ما للإمام يحيى. بيد أن هذه الرحلة إلى روما لم تتم لأسباب لم تذكرها الوثائق البريطانية، وبدلا من ذلك، غيّر محمود نديم بك وجهته عند وصوله إلى ميناء السويس من إيطاليا إلى بيروت متوجها إليها على ظهر السفينة العباسية(٧٤).

وتصف المراسلات البريطانية تفاصيل إقامة محمود نديم بك في بيروت بكل دقة حيث، تشير تلك المراسلات إلى أنه أقام في فندق كان ملتقى للكماليين من الأتراك ومن يشايعهم من العرب، فتروي أنه التقى بالشيخ عبدالباسط الونسي، مالك جريدة إقبال المناصرة للأتراك، كذلك التقى بالشيخ محمد محرم الذي كان معروفا بتعاطفه مع الأتراك، وأن هذان الشخصان كانا على اتصال يومي به طوال فترة بقائه في بيروت. كما تروي المراسلات أن الوالي السابق كان قد زار أثناء بقائه في بيروت حاكم لبنان الكبرى، والأمير سليم ابن السلطان عبدالحميد الثاني، وغيرهم من الأمراء العثمانيين المقيمين في بيروت. كما زاره الرحالة والكاتب أمين الريحاني الذي كان مسافرا معه في نفس السفينة لعدد من المرات، وأن الأمير سعيد الجزائرلي قد جاء لرؤيته من سوريا، بيد أنه لم يتمكن من ذلك(٧٥).

إن هذه المتابعة الدقيقة لمحمود نديم بك من قبل البريطانيين أظهرت لنا بشكل واضح قلق البريطانيين من الدور المهم الذي كان يلعبه محمود نديم بك في

اليمن، وأن وتوجهاته السياسية ظهرت جلية من خلال لقاءاته في بيروت.وأن محمود نديم بك وإن كان دوره السياسي كوالي عثماني لليمن قد انتهى بهزيمة العثمانيين، إلا أنه كان يتطلع للعب دور بارز على مجرى الساحة السياسة العربية والإسلامية من خلال تمثيله للإمام يحيى حميد الدين، ولعل لقاء محمود نديم بك بالأمير سليم ابن السلطان عبدالحميد الثاني يوحي بمدى ارتباطه وولائه لأسرة السلطان عبدالحميد الثاني، وقد يلقي هذا بعض الظلال على ما لقيته هذه الشخصية السياسية من عدم احتفال بها بعد قيام تركيا الحديثة (١٣٤٢هـ/١٩٢٤م)(٧٦).

ذكر محمود نديم بك أثناء بقائه في بيروت أنه تلقى دعوة من مصطفى كمال لزيارة أنقرة للتفاوض معه كمندوب عن الإمام يحيى، لذلك فهو متجه إليها. ويفسر البريطانيون توجهه إلى أنقرة كان لطلب أسلحة وذخائر لدعم الإمام يحيى حميد الدين في حروبه ضد السيد محمد بن علي الإدريسي. وكان محمود نديم بك قد ظل في بيروت مدة أسبوع ثم انتقل إلى طرابلس ومن هناك وصل إلى حمص فحماة فحلب ومن ثم إلى أنقرة(٧٧).

وتشير المراسلات البريطانية إلى أن وصول محمود نديم بك إلى بيروت كان متزامنا مع وصول ضابط تركي كان قد أرسله الملك عبدالعزيز آل سعود إلى هناك، الأمر الذي قد يلقي بعض الظلال على ارتياب البريطانيين وتخوفهم من احتمال قيام تحالف تركي عربي ضد المصالح البريطانية في الجزيرة العربية. فمحمود نديم بك كان ممثلا للإمام يحيى، والضابط التركي الذي لم تشر الوثائق إلى اسمه كان مرسلا من الملك عبدالعزيز، علاوة على وجود قيادات تركية وعربية ممتلئة بالحماس القومي العربي والتركي محبطة ورافضة لما آلت إليه الأمور العربية والتركية بعد الحرب العالمية الأولى(٧٨).

ويبدو أن العلاقات بين الإمام يحيى حميد الدين ومحمود نديم بك، كانت رهينة حاجة الإمام لدعمه وتمكينه من وراثة ممتلكات العثمانيين في اليمن، ولما تحقق للإمام هذا المراد، بدأ الشك يرتاب إلى نفسه في حقيقة إخلاص محمود نديم بك له. فقد ذكرت بعض المصادر التي بين أيدينا، أن الشك بدأ يساور الإمام في حقيقة موقف الوالي السابق منه منذ أحداث باجل سنة (١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م)، والتي فشلت فيها مساعي الإمام يحيى التي قادها محمود نديم بك لاستخلاص بعثة جيكوب البريطانية من أسرها، وإكمال طريقها إلى صنعاء. فقد أشيع في صنعاء أن محمود نديم بك كان يلعب دورا مزدوجا بتأييده لقبائل القحرا، وأنه وراء عدم تمكين قبائل القحرا من وصول البعثة البريطانية إلى صنعاء، وأن جل ما توصل إليه محمود نديم بك، بعد قضائه ما يزيد على شهرين من النتائج هو عودة البعثة إلى عدن[٧٩]. على أن الأمور لم تصل إلى حد القطيعة بين الطرفين، لذلك عمل محمود نديم بك على تمثيل الإمام في أنقرة كما سبق وأن ذكرنا.

وبالنظر إلى شخصية كل من الإمام ومحمود نديم بك يرى الباحث أن الخلاف لابد وأن يحدث بين الطرفين. فقد كان الإمام يحيى ذا شخصية قوية، شديدة الحذر في التعامل مع الغير، وهو شديد الشك في نوايا الأجانب، إلى جانب كونه رجلا بسيطا ينبذ العظمة، ويكره ألفاظ التفخيم، ويبغض المراوغة[٨٠]، في المقابل كان محمود نديم بك كما وصفه جيكوب، ذا شخصية قوية صريحا، حلو المعشر، مليء بالغرور، حريص على إرضاء الأوربيين الذين يتصلون به. إلى جانب كونه مخادعا ماكرا، ممتلئ بالروح التركية. وقد أورد عنه جيكوب قوله له في باجل، وكان الكولنيل جيكوب قد تبسط مع مشايخ القحرا وأخذ يطوف بينهم ويقدم لهم السجائر، "إن هذا السلوك يا حضرة المندوب يحط من قدر الشخص، فأنت تنهض من مكانك وتتولى خدمة هؤلاء الكلاب من العرب، ووالله لو كنت في كرسي الحكم لربطتهم ولعاقبتهم مثل ما كان يحدث في الأيام الخالية"[٨١].

ويصف لنا جيكوب الحالة النفسية لمحمود نديم بك بأنه " اليوم يبدو مجردا من كل قوته"، وأنه لا يعدو أن يكون مستخدما من طرف الإمام، وأنه كان شخصا مخادعا كبير المكر، مؤيد لوجهة النظر التركية، ويصف لنا موكبه للصلاة بقوله: "ويعتبر موكب البك لصلاة الجمعة في باجل فخما وجليلا إذ كان يمشي متشامخا إلى الصلاة ببطء مع أتباعه المحاربين الزيود"[٨٢].

ومع تحفظنا على بعض ما ورد في كلام جيكوب عن محمود نديم بك، إلا أنه يعكس لنا بجلاء بعض جوانب شخصية هذا القائد، فهو يتصف بالغرور المناقض لتواضع الإمام يحيى، ويتصف بحبه للفخامة التي يبغضها الإمام يحيى، كما يتصف بالمكر والدهاء الذي يدفع الإمام للارتياب فيه. كل ذلك في رأينا يدفع للتنافر بين الشخصيتين، وأن التقارب الذي حصل في فترات سابقة إنما كان مبني على المصلحة الآنية.

ويمكن القول أن العامل الحاسم في الجفوة بين الطرفين تكمن في نهج الإمام في العمل السياسي حيث أن الإماه يحيى كان يدير حكمه بطريقة مركزية صرفة، وأن أسلوبه هذا لن يعطي للوالي السابق لليمن المكانة المرموقة التي كان يؤملها كوال عثماني، ولعل ما اشتهر به الإمام يحيى من شح في الإنفاق، كان دافعا رئيسا للابتعاد عنه.

هذه الاختلافات جميعها تجعلنا نميل إلى القول بأن التفاهم بين الشخصيتين كان وقتيا، وأنه سيزول بزوال مسبباته، وقد أفرزت نتائج الحرب العالمية الأولى هذه المسببات، فقد بدا واضحا أن الإمام يحيى نجح في تثبيت حكمه، وأنه ما جاء عام (١٣٤٤هـ /١٩٢٥م) إلا وكان الإمام قد استكمل توحيد الأراضي اليمنية في دولة مركزية، ولم يتبق خارج نطاق هذه الدولة إلا عدن والمحميات البريطانية، التي بلا أدنى شك لن يكون لمحمود نديم بك دور إيجابي فيها إذا ما اعتمد الإمام فيها على مبدأ المفاوضات لموقف البريطانيين السابق ذكره من محمود نديم بك.

كما أن نهاية الحرب العالمية الأولى كان قد أحدث عددا من المتغيرات على المستوى الدولي لعل من أهمها إلغاء الخلافة العثمانية، حين صدر قرار الجمعية الوطنية التركية بإلغاء الخلافة العثمانية وقيام الجمهورية التركية، واختيار مصطفى كمال أول رئيس لها في ١٣ مارس (١٩٢٤م./١٣٤٣هـ)(٨٣).

وقد ساءت العلاقات بين الطرفين للحد الذي جعل محمود نديم بك يذكر الإمام يحيى عند أحد مسئولي القنصلية البريطانية في جدة، أثناء مروره بها عام (١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) بأنه - أي الإمام يحيى - انتهازي لا ثبات له على حلف، وإن محمود نديم بك قد نصحه مرارا بأن الخير لليمن أن تتحالف مع البريطانيين، ويروي هذا المسئول البريطاني أن محمود نديم بك أوضح له أن الأوضاع في اليمن قد تردت كثيرا تحت حكم الإمام، وأن القبائل اليمنية في حالة استياء شديد، وأنها سترحب بأية قوة خارجية لإصلاح أمورها، وأوضح هذا المسئول البريطاني أن محمود نديم بك قد عرض خدماته على البريطانيين، وربط ذلك بحاجة نديم إلى المال، كما ألمح هذا المسئول إلى إمكانية استخدام الملك عبدالعزيز لخدمات الوالي العثماني السابق لليمن. كما ذكر أن محمود نديم بك كان قادما من مصوع ولا ينوي العودة إلى اليمن نظرًا لما وردت إليه من أخبار عن اضطراب الأمن فيها، ويرى المسئول البريطاني، أن ما تحدث به نديم بك غير مقنع مقارنة بما ورد إليه من أخبار من أن الملك عبدالعزيز ينوي القيام بعمل ما في هذه المنطقة (تهامة)(٨٤).

ويقف الباحث موقف الشاك المرتاب مما ورد في برقية المسئول البريطاني في جدة، بيد أنها تعكس لنا بوضوح مدى تردي العلاقة بين الإمام يحيى ومحمود نديم بك. ولعل بعض ما ورد على لسان محمود نديم بك - إذا صح ما نسب إليه من أقوال - يوحي بتحول كبير في موقف الوالي السابق من البريطانيين، ولعل هذا يتماشى مع الإشارة إلى أنه يعمل لحساب الملك عبدالعزيز. فمن المعروف أن

علاقات الملك عبدالعزيز مع البريطانيين كانت في هذه السنوات قوية، وعلى محمود نديم بك أن يغير من توجهه السياسي الذي عمل به طوال سنوات الحرب العالمية الأولى، وإبان خدمته للإمام يحيى إذا ما أراد أن يلعب دورا سياسيا في هذه الدولة الناشئة.

وعلى افتراض دقة ما ورد في هذه الوثيقة فإنه وكما يبدو للباحث فإن محمود نديم بك لم يجد في شخص الإمام يحيى ذلك الحاكم السياسي الذي كان يتصوره أثناء الحرب العالمية الأولى من حيث الطموح والإمكانات، فرأى أن الابتعاد عن اليمن والإمام يحيى، والعمل مع حاكم جديد أكثر طموحا وإمكانات، قد يحقق له طموحه السياسي على الصعيد العربي والإسلامي ولعله رأى في الملك عبدالعزيز خير من يفي بهذا الغرض، ولا تشير المصادر التي بين أيدينا عن حقيقة العلاقة بين الملك عبدالعزيز ومحمود نديم بك.

ومن المعروف أن العلاقات بين الملك عبدالعزيز آل سعود، والإمام يحيى قد شهدت تأزما عندما سيطر السعوديون على بعض مناطق تهامة، ثم شهدت العلاقات هدوءًا نسبيا في العام (١٣٤٧هـ/١٩٢٨م) حيث اتفق العاهلان على حل إشكالات الحدود عن طريق المفاوضات، بيد أن الصراع ما لبث أن استعر بين الطرفين في عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م)، واستمر قرابة سبع أسابيع، وانتهى بمعاهدة الطائف (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)[٨٥].

وقبل أن نختم دراستنا هذه تجدر الإشارة إلى أنه وعلى الرغم من حجم عداوة محمود نديم بك للبريطانيين على النطاق الرسمي أثناء فترة ولايته والفترة التي قضاها في خدمة الإمام يحيى باليمن، قد كان دائم الحرص على إبقاء باب الود بينه وبين البريطانيين مفتوحا على الصعيد الشخصي. وليس أدل على ذلك من الرسالة التي بعث بها محمود نديم بك إلى المقيم السياسي البريطاني بعدن في يناير (١٩٢٢م/١٣٤١هـ) يطالبه فيها بأن يتحصل على مبلغ ١٠٠ دولار كان قد

أقرضها محمود نديم بك للقنصل البريطاني في الحديدة، السيد ريدشاردسون (Richardson) عندما كان هذا القنصل وزميله الفرنسي في صنعاء أثناء الحرب العالمية الأولى، وكيف أن محمود نديم بك عاملهما بكل لطف ولياقة، فلم يضيق عليهما وقد اعترف السيد ريدشاردسون (Richardson) بحسن معاملة نديم بك لهما على الرغم من ظروف الحرب، وسدد إليه المبلغ لاحقا(٨٦).

وفي هذا الإطار نذكر الدور الإيجابي الذي لعبه محمود نديم بك لتخليص بعثة جيكوب من الأسر في العام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، حيث أثنى جيكوب على دوره ثناء كبيرا، وأخبر بأنه كان مخلصا وجادا في تحقيق هذه الغاية على الرغم مما واجهه من إهانات ومصاعب، كونه مرسلا من قبل الإمام يحيى لقبيلة القحرا(٨٧). ويبدو أن السيد محمود نديم بك كان يضع فروقا بين العمل الرسمي والعلاقات الشخصية الإنسانية، فعمله الرسمي المعلن كان هو العداء والكراهية المفرطة للوجود البريطاني في اليمن، وقد بادله البريطانيون هذا العداء للحد الذي طالب المقيم السياسي في عدن ترحيله من اليمن بأسرع وقت ممكن – كما مر سابقا – أما على الصعيد الشخصي فكان يميل إلى التودد للبريطانيين، فهل يفهم من هذا أن محمود نديم بك كان يريد أن يؤمن لنفسه بتعامله الحضاري هذا يدا بيضاء لدى البريطانيين يمكن أن يستعملها في وقت الحاجة لها؟ أم أن الأمر لا يعدو أن يكون طبع جبل عليه وهو متأصل في شخصيته؟

ويبدو أن محمود نديم بك لم يستقر في اليمن طوال الفترة التي أعقبت الحرب العالمية حيث يشير علي بيرينسي (Ali Birinci) أنه قد عاد إلى تركيا في مايو (١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) وتقاعد عن العمل في ٢٤ أغسطس (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٣م)، وأنه استقر في أضنة لبعض الوقت ثم انتقل إلى استانبول في مارس (١٩٢٦م/١٣٤٥هـ) ليسكن في داره الذي منح له بموجب النظام حيث صدر له صك امتلاك الدار في يوليو سنة (١٣٥١هـ/١٩٣٢م)(٨٨). وهذا يعني أن الوالي

العثماني السابق كان قد صرف عن ذهنه البقاء المؤقت في اليمن، وإن كنا لا نتفق مع ما ذهب إليه علي بيرنسي من أن محمود نديم بك تقاعد عن العمل في التاريخ المذكور سابقا، بدليل قيامه بعدد من المهمات للإمام يحيى، واتصاله بالبريطانيين، والملك عبدالعزيز بعد التاريخ المذكور، إلا إذا كان التقاعد المذكور كان عن العمل في الإدارة العثمانية التي كانت قد استبدلت بالحكومة التركية التي أعلنها كمال أتاترك كما أشرنا سابقا.

تقلد محمود نديم بك خلال عمله في الإدارة العثمانية عدد من الرتب وهي على النحو التالي: Rutbe-I Salise, Rutbe-I Saniye, Sinfi-Sanisi, Ucuncu-Rutbeden Mecidi Nisani.

توفي محمود نديم بك في الساعة الحادية عشر والنصف في ١١ مارس (١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) في منزله بميدان تكسيم باستانبول[٨٩].

الخاتمة

نخلص في ختام دراستنا هذه إلى أن الوالي العثماني محمود نديم بك، كان آخر الولاة العثمانين باليمن وأن سنوات حكمه للولاية قد بلغت اثنا عشر سنة (١٣٣٠- ١٣٤٢هـ) (١٩١١-١٩٢٣م)، وأنه قد اختلف عن الولاة الذين سبقوه في هذه الولاية من حيث طول فترة ولايته باليمن، ولعل اندلاع الحرب العالمية الأولى كانت سببا مباشرا لطول فترة ولايته كما تميز عن غيره من الولاة بسعة خبرته بأمور اليمن ومشاكلها باعتبار ما كان له من خدمات فيها قبل الولاية، وباعتبار إجادته للغة العربية التي مكنته من تلمس مشاكل القبائل بصفة خاصة، والمجتمع اليمني بصفة عامة. ويمكن القول أن ظروف توليه الولاية في أعقاب صلح دعان، أسهم إسهاما كبيرا في نشر السلام في اليمن قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى.

وكما هو معروف فقد تزامنت فترة ولاية محمود نديم بك لليمن مع قيام الحرب العالمية الأولى، وانخراط الدولة العثمانية في معسكر دول المحور، الأمر الذي دفع الوالي لرفع لواء الإسلام لكسب ود القادة المحليين في الجزيرة العربية. وقد حقق العثمانيون في فترته نجاحا على صعيد القتال في الحرب العالمية الأولى، حيث تمكن قائد قواته في الجنوب من السيطرة على لحج، والمناطق المحيطة بها، بيد أن ما حدث في الجبهات الرئيسة لهذه الحرب كانت تشهد ما لم تشهده الجبهة اليمنية، من انكسار لدول المحور، مما حدا بالعثمانيين طلب الصلح الذي استنكره محمود نديم بك، وحاول المماطلة في تطبيق شروط الصلح لتمكين حليفه الإمام يحيى حميد الدين من وراثة معظم ممتلكات العثمانيين باليمن.

وقد تميزت فترة حكمه بالتناغم الكبير بينه وبين الإمام يحيى حميد الدين، في الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى، كما تميزت السنة الأخيرة من حكمه كوال عثماني باليمن بسعيه الدعوب لتمكين الإمام يحيى من وراثة العثمانيين في اليمن. وقد حقق محمود نديم بك نجاحا كبيرا في مسعاه هذا، وكانت النتيجة النهائية للأوضاع في اليمن أن ورث الإمام يحيى حكم العثمانيين فيها، واختار الوالي محمود نديم بك العمل مع الإمام لبعض الوقت في اليمن.

ويمكن أن نخلص في دراستنا هذه إلى أن توجه محمود نديم بك الإسلامي كان موجها له للعمل مع الإمام يحيى حميد الدين، وهذا التوجه هو الذي جعله يقف موقف العداء من البريطانيين، وحلفائهم في المنطقة، وهو الذي دفعه لتمكين الإمام يحيى من ممتلكات العثمانيين في اليمن على عكس ما تقضي به مواثيق الحروب.

ولعل الاختلاف في التوجهات السياسية، وأسلوب إدارة العمل السياسي فيما بينه وبين الإمام يحيى، كان دافعا له لترك العمل في اليمن، واختيار الاستقرار في

تركيا لتنتهي حياته بها بعد مشوار حافل من العمل السياسي المبني على معتقد دافع من أجله محمود نديم بك لحين وفاته.

الهوامش

(١) **روبيرمانتران**، *تاريخ الدولة العثمانية*،ج ٢، ترجمة بشير السباعي، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م، ص ١٦٧.

(٢) **محمد فريد بك**، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، بيروت، دار النفائس،١٩٨٣م، ص٧٠٤.

(٣) كان مدحت باشا واليا على بغداد،وبعد تولي السلطان عبدالحميد الحكم، أمر بتشكيل لجنة لوضع مشروع الدستور تحت رئاسة مدحت باشا، وعبن بعد انتهاء اللجنة من مهمتها صدرا أعظمًا للمرة الثانية عام (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م). (محمد فريد بك، ص ص: ٧٠٣-٧٠٥).

(٤) **مانتران**، ص ١٥٥.

(٥) **مانتران**، ص ص: ١٦٩-١٧٠.

(٦) **مانتران**، ص ١٦٩.

(٧) **مانتران**، ص ص: ١٧١-١٧٣.

(٨) **علي محمد الصلابي**، *الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط*، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠١، ص٤٠٩.

(٩) **مانتران**، ص ١٦٩.

(١٠) ارتفعت أصوات بعض مثقفي العرب نتيجة للاستبداد الحميدي بالمناداة بأحقية العرب في حكم أنفسهم وتكوين دولة قومية لهم، وبرز عدد من الآراء الفكرية المطالبة بعودة الخلافة إلى أصحابها الشرعيين، وهم القرشيون من العرب بحسب ما تنص عليه كتب السياسة الشرعية الإسلامية، ووضح هذا الطرح في مختلف أطروحات الشيخ عبدالرحمن الكواكبي بوجه خاص. انظر كتاب أم القرى، لعبدالرحمن الكوكبي وهو الكتاب الذي نظر فيه لإحياء خلافة عربية إسلامية ذات سلطة روحية فقط، يكون مركزها مكة (أم القرى)، انظر كذلك نجيب عازوري في كتابه بالفرنسية " بعث الأمة العربية في آسيا التركية".

(١١) **مانتران**، ١٧٨.

(١٢) **Ali Birinci**, *Arabstanda Bir Om,* Isis, Istanbul, P: 7-10.

(١٣) **أريك ما كرو**، *اليمن والعرب*، *تعريب* وتعليق حسين بن عبدالله العمري،١٩٧٨م، ص ١٠٧.

(١٤) Birinci, p12

(١٥) Birinici, p12

(١٦) سالونيك: هي مدينة رومية قديمة تقع في جنوب مقدونيا، كان اسمها القديم ترما ثم تحول اسمها إلى تسالونيك على اسم الكسندر (ت٢٨٩ق.م)، وقد كانت مركزا مهما من مراكز جمعية الإتحاد والترقي. (انظر محمد فريد بك: *تاريخ الدولة العثمانية العليا*، ص ١٣٣).

(١٧) BELEN-HATAY مقاطعة في تركيا الحالية، وعلى وجه التحديد بلواء الإسكندرونة.

(١٨) **سيد مصطفى سالم**، *تكوين اليمن الحديث*، الطبعة ٣ القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٩م، ص ١٣١.

(١٩) أورد السيد زيد بن علي الوزير في تعليقه في هامش٥ ص ١٥٦ من كتاب *زورق الحلوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللواء*، تأليف حمود بن محمد الدولة، ما نصه" وقد جاء في نشر الثناء الحسن لأن مما اتفق عليه سرا تعيين محمود نديم واليا على اليمن".

(٢٠) **سالم**، تكوين اليمن الحديث، ص٤٦.

(٢١) من المعروف أن الهادي شرف الدين كان قد دعا لنفسه بالإمامة سنة (١٢٩٦هـ/١٨٨٠م) في ظفير حجة ثم انتقل إلى هجرة المدان من بلاد الأهنوم، ومن هناك أخذ يراسل القبائل في القسم الأعلى من اليمن يحثهم على مواجهة ظلم الولاة العثمانيين، وسانده الإمام محمد بن عبدالله الوزير ومعظم علماء صعدة، وانتقل إلى بلاد حاشد يتنقل بين مدنها داعيا القبائل لحرب العثمانيين، وقد قضى جل وقت إمامته في قتال العثمانيين، والخارجين على إمامته، محمد يحيى الحداد، *التاريخ العام لليمن، اليمن الحديث*، الجزء الرابع، منشورات المدينة، ١٩٨٦م، ص٢٢٣.

(٢٢) خلف الإمام شرف الدين تلميذه الإمام محمد بن يحيى الذي توسم فيه الزيديون القدرة على منافحة العثمانيين ورد مظالمهم لذلك خاض عدد من الحروب الدامية ضد العثمانيين للمزيد انظر الواسعي، عبدالواسع بن يحيى، *تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن*، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٠٤هـ، ص٢٧١، وكذلك (RB Serjeant and Ronald Lewcock, Sana, An Araban Islamic City, World of Islam Festival Trust, P 92).

(٢٣) **سعد محمد الشرقي**، عشر سنوات من سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين المسماة *"تقييد حوادث إنشاء تجديد الجهاد الثاني*، ٢، دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحية، بيروت، مؤسسة دلتا للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م، ص ٢٧٠.

(٢٤) **الشرقي**، ج٢، ص ٢٧١.

(٢٥) **الشرقي**، ج٢، ص١٨٢: هامش١.

(٢٦) دعان بفتح الدال وتشديد العين، بلدة في ظاهر جبل عيال يزيد من همدان في الشمال الغربي من مدينة عمران، وفيها تم عقد المصالحة بين الإمام يحيى والقائد العثماني أحمد عزت باشا. انظر: المقحفي، إبراهيم، معجم *البلدان والقبائل اليمنية*، صنعاء، دار الكلمة، ١٩٨٨، ص ٢٣٥.

(٢٧) **حمود بن محمد الدولة**، *زورق الحلوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللواء*، تحقيق زيد الوزير، بيروت، دار الثقافة للنشر، ١٩٨٩م، ص:١٥٦، هامش٥.

(٢٨) **الشرقي**، ج٢، ص٦٣٩.

(٢٩) **الشرقي**، ج٢، ص ص: ٦٤٩-٦٥٠.

(٣٠) **الشرقي**، ج٢، ص ٦٣٨.

(٣١) **الشرقي**، ج٢، ص٦، ص ص: ٦١٤-٦١٨.

(٣٢) حراز اسم يجمع لعدد من المواضع في اليمن، على أن الشهرة راجعة لقضاء حراز في الغرب من صنعاء بمسافة ٨١كم، الذي يشمل إداريا عدة نواحي. المقحفي، ١٦٤، ١٦٥.

(٣٣) القحرا بضم القاف من قبائل عك في تهامة من أعمال باجل. المقحفي، ٥٠٧.

(٣٤) R/20/A/2985 (ترجمة الرسالة مرسلة من المقيم البريطاني بعدن T.H.SCOTT إلى KARL Curzon of Kedleston وزير الخارجية البريطاني).

(٣٥) العر بكسر العين، اسم مشترك لعدد من المواضع في اليمن، والمقصود هنا جبل العر وهو جبل عال في منطقة الحيمة الداخلية حيث تقبع في أعلاه قرية العر وهي مركز ناحية الحيمة الداخلية، وتقع الناحية في الجنوب الغربي من صنعاء بمسافة ٣٧كم تقريبا. انظر: المقحفي، ص ٢٠٤، ٤٣٥.

(٣٦) مناخة مدينة في قمة جبل حراز غربي صنعاء بالاتجاه إلى مدينة الحديدة المقحفي، ص٦٣٠، ٦٣١.

(٣٧) **عبدالكريم بن أحمد مطهر**، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين: *المسماة كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة*، تحقيق محمد عيسى صالحية، ج٢، جامعة اليرموك، ١٩٩٨، ص ص: ٢٠٥-٢٠٦.

(٣٨) **الشرقي**، ج١، ص٢٢٠.

(٣٩) جبل رازح جبل عال منيف يقع في لواء صعدة. المقحفي، ٢٥٨. أما بنو جماعة بضم الجيم وفتح الميم فهم بطن من خولان بن عمرو يسكنون أعمال صعدة. المقحفي، ١٢٦. وفيما يتعلق بحجور بفتح الحاء وضم الجيم، فهي بلد واسعة من بلاد همدان في الشمال الغربي من صنعاء وتنقسم إلى عدة أقسام. المقحفي، ١٥٦.

(٤٠) ماوية بلدة تقع جنوبي مدينة الجند بفتح الجيم والنون، وشرقي مدينة تعز وهي على رأس جبل. المقحفي، ٥٥٦.

(٤١) **هارولد ف. يعقوب**، *ملوك شبه الجزيرة العربية*، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٨٣م، ص ٢١٢.

(٤٢) **الدولة**، ص٦٢.

(٤٣) **الدولة**، ص٦٢.

(٤٤) **جيكوب**، ص ص: ٢٠٥-٢٠٩.

(٤٥) **المسعودي**، ص ٢٩.

(٤٦) **المسعودي**، ص ٢٩.

(٤٧) **سيد مصطفى سالم**، *وثائق يمنية، دراسة وثائقية تاريخية*، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٨٢م، ص ٣٣٨.

(٤٨) **سالم**، وثائق يمنية، ص ٣٤٦.

(٤٩) **سالم**، وثائق يمنية، ص ٣٣٨.

(٥٠) **سالم**، وثائق يمنية، ص ص: ٣٣٧-٣٤٣.

(٥١) **سالم**، وثائق يمنية، ص ٣٤٠.

(٥٢) **أحمد فضل بن علي العبدلي**، *هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن*، بيروت، دار العودة، ١٩٨٠م، ص ص: ٢٥١-٢٥٥.

(٥٣) **مطهر**، ص ص: ١٥٧-١٦٧

(٥٤) **مطهر**، ص ١٥٩

(٥٥) **مطهر**، ص ص: ١٥٧-١٦٧.

(٥٦) **مطهر**، ص ص: ١٦٢-١٦٧.

(٥٧) **مطهر**، ص ص: ١٦٤-.١٦٦

(٥٨) **المسعودي**، ص ص: ٣٠-٣١.

(٥٩) **العبدلي**، ص ص: ٢٥١-٢٥٣.

(٦٠) وثيقة رقم F.O.E.1920/890/91 وهي عبارة عن مجموعة رسائل تحصل عليها الباحث من مكتب السجلات العمومي البريطاني P.R.O إحداها رسالة من محمود نديم بك للشيخ احمد فتيني شيخ مشايخ قبيلة القحرا.

(٦١) *المصدر السابق*.

(٦٢) *المصدر السابق*.

(٦٣) *المصدر السابق*.

(٦٤) للاطلاع على منشور الوالي محمود نديم، انظر الشرقي، جزء٢، ص ٢٢٨.

(٦٥) وثيقة رقم F.O.E.1920/890/91 مجموعة رسائل لمحمود نديم بك إحداها رسالة إلى حاكم أنقرة مصطفى كمال باشا. ورسالة أخرى من محمود نديم بك للحاكم الإيطالي في عصب السنيور لينشوني.

(٦٦) الأمير عمر طوسون باشا (١٢٨٩-١٣٦٣هـ /١٨٧٢-١٩٤٤م) هو الابن الثاني للأمير طوسون بن محمد سعيد بن محمد علي باشا، انظر زكي فهمي، *صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر*، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٥م.

(٦٧) *المصدر السابق*، خطاب من محمد نديم بك للأمير عمر طوسون باشا بمصر. في ١٣٣٩/١١/٢٨هـ الموافق ١٩٢١/٨/٣م.

(٦٨) **مطهر**، ص ص: ٢١٩-٢٢٥.

(٦٩) F.O.E. 1920/890/91.

(٧٠) **الدولة**، ج١ص ٧٥.

(٧١) F.O.R/20/A/2985 رسالة من الميجور سكوت، المقيم لسياسي في عدن للمفوض البريطاني في الأستانة في ١٢ نوفمبر ١٩٢٠م.

(٧٢) F.O.R/20/A/2985 رسالة من المقيم السياسي في عدن لوزير المستعمرات في ٤ فبراير ١٩٢٢م.

(٧٣) F.O.R./20/A/2985.

(٧٤) F.O.E. 1395/890/91.

(٧٥) *المصدر السابق*.

(٧٦) *المصدر السابق*.

(٧٧) F.O.E. 1923/890/91 (رسائل من القنصلية البريطانية في بيروت إلى وزير المستعمرات البريطاني، في ١٣ مارس ١٩٢٥م).

(٧٨) *المصدر السابق*.

(٧٩) **جيكوب**، ٢٧٩.

(٨٠) **مؤيد العظم**، ص ١٦٤.

(٨١) **جيكوب**، ٢٧٩.

(٨٢) **جيكوب**، ٢٧٨-٢٧٩، انظر كذلك: اريك ماكرو اليمن والعرب، تعريب حسين العمري ١٩٧٨، ص ١٠٧.

(٨٣) **الصلابي**، ص، ٤٧٢.

(٨٤) E 1923/890/91 No 331 برقية من القنصلية البريطانية في جدة للمقيم البريطاني في عدن في ١٧ يناير ١٩٣٠.

(٨٥) **سالم**، تكوين اليمن الحديث، ٣٣٧-٣٤٨.

(٨٦) رسائل عدة مرسلة متبادلة بين المقيم لبريطاني في عدن في الأول من يناير ١٩٣٠ مع الأشخاص المعنيين بالدين المالي المذكور معظمها لا يحمل أرقاما وقد تحصل عليها الباحث من P.R.O. ويبدوا أنها ملحقة ببعض الوثائق السابق ذكرها.

(٨٧) **جيكوب**، ٢٧٩.

(٨٨) **Ali Birinci**, p 9.

(٨٩) *المصدر السابق*، ص ٧.

المراجـــــع

أولاً: المراجع العربية

وثيقة رقم F.O 424/238 تحصل عليها الباحث من مكتب السجلات العمومي البريطاني P.R.O.

وثيقة رقم F.O.E.1920/890/91 وهي عبارة عن مجموعة رسائل تحصل عليها الباحث من مكتب السجلات العمومي البريطاني P.R.O وتتضمن ما يلي:

رسالة من محمود نديم بك للشيخ أحمد فتيني شيخ مشايخ قبيلة القحرا.

رسالة من محمود نديم بك إلى حاكم أنقرة مصطفى كمال باشا.

رسالة من محمود نديم بك إلى الأمير عمر طوسون باشا.

رسالة من محمود نديم بك إلى حاكم عصب الإيطالي المسيو لينشيني.

F.O.R/20/A/2985، (رسالة من الميجور سكوت، المقيم لسياسي في عدن للمفوض البريطاني في الأستانة في ١٢ نوفمبر ١٩٢٠م).

ترجمة رسالة مرسلة من المقيم البريطاني بعدن T.H.SCOTT إلى KARL Curzon of Kedleston وزير الخارجية البريطاني.

F.O.R/20/A/2985 (رسالة من المقيم السياسي في عدن لوزير المستعمرات في ٤ فبراير ١٩٢٢م).

F.O.E.1923/890/91 (مجموعة رسائل من القنصلية البريطانية في بيروت إلى وزير المستعمرات البريطاني، في ١٣ مارس ١٩٢٥م).

الحداد، محمد يحيى (١٩٨٦م) *التاريخ العام لليمن الحديث*، الجزء الرابع، المدينة، منشورات المدينة.

الدولة، حمود بن محمد (١٣٠٩هـ) *زورق الحلوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللواء*، منشورات العصر الحديث، تحقيق زيد الوزير.

الشرقي، سعد بن محمد (٢٠٠٤م) *عشر سنوات من سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين المسماة " تقييد حوادث إنشاء تجديد الجهاد الثاني*، ج٢، دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحية، بيروت، مؤسسة دلتا للطباعة والنشر.

سالم، سيد مصطفى (١٩٨٩م)، *تكوين اليمن الحديث*، الطبعة ٣، القاهرة، مكتبة مدبولي.

سالم، سيد مصطفى (١٩٨٢م) *وثائق يمنية، دراسة وثائقية تاريخية*، القاهرة، دار الكتب المصرية.

الصلابي، علي محمد (د.ت.) *الدولة العثمانية: عوامل النهوض والانحدار*، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

العبدلي، أحمد بن فضل (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) *هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن*، ط٢، بيروت، دار العودة.

ماكرو، أريك (١٩٧٨م) *اليمن والعرب*، تعريب وتعليق حسين بن عبدالله العمري.

المحامي، محمد فريد بك، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، دار النفائس.

المسعودي، عبدالعزيز قائد (٢٠٠٦م) *اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة (١٩١١-١٩٦٧م)*، القاهرة، مكتبة مدبولي.

مطهر، عبدالكريم بن أحمد (١٩٩٨م) *سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين: المسماة كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة*، تحقيق محمد عيسى صالحية، ج٢، جامعة اليرموك.

المقحفي، إبراهيم (١٩٨٨م) معجم *البلدان والقبائل اليمنية*،صنعاء، دار الكلمة.

مونتران، روبير، *تاريخ الدولة العثمانية*، ج ٢، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

الواسعي، عبدالواسع بن يحيى (١٤٠٤هـ) *تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن*، ط٤، صنعاء، الدار اليمنية للنشر والتوزيع (١٤٠٤هـ).

يعقوب، هارولد ف. (١٩٨٣م) *ملوك شبه الجزيرة العربية*،مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.

ثانيًا: المراجع الإنجليزية

Ali, Birinci, *Arabstanda Bir Om,* Isis, Istanbul, P:7-10.

RB Serjeant and **Ronald Lewcock**, *Sana, An Araban Islamic City,* World of Islam Festival Trust.

The Rule of Governor (Mahmoud Nadim Beck) Political in Yemen During the Period 1329-1349 AH / 1911-1930 AD

Hani Z.A. Mohanna

Department of History, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

Abstract. This study deals with the last Ottoman governor in the Yemen. Its main goal is to explain the important role this governor played in that area during world War One. However, Mahmud Nadim Beck was among the few Ottoman personnel's who decided to stay in Yemen after the defeat of the Ottomans in the war. He played a very important role in agitating the Yemen tribes against the British although some Turkish military leaders in Yemen decided to surrender and leave Yemen peacefully. His relations with Imam Yahya, Mohammed Bin Ali al-Idrissi, King Abduaziz Aal-Saud, and the British will be dealt with in this study.